شخصيات مجمعية

فى الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٢٢ من ربيع الآخر ١٣٩٩ هـ (الموافق ٢١ من مـارس ١٩٧٩ م) أقام المجمع حفل استقبال أعضائه الجدد : الدكتور مجدى وهبة، وصاحب الفضيلة الشيخ أحمد هريدى ، والدكتور أحمد السعيد سليمان ، والدكتور الشيخ محمد رفعت فتح الله .

وفيما يلي ماألقى فى الحفل من كلمات :

•• كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

سيداتى سادتى :

يطيب لى فى هذا المقام أن أهنىء الزملاء الأربعة الجدد بعضوية المجمع ، وأهنىء المجمع بهم ، وأن أرحب بكم جميعا ، وأشكر لكم جميعا مشاركتنا فى استقبالهم ؛ فهم يحملون إلينا كل عام نشاطا وقوة ، نجددبهم السير ، ونسير معهم ، نحمل الرسالة قدر ما استطعنا. والكلمة الآن للزميل الدكتور مهدى علام الأمين العام للمجمع ليقول كلمة المجمع فى استقبال الدكتور مجدى وهبة :

كلمة الدكتور مهدى علام الأمين العام للمجمع

فى استقبال الدكتور

لمجمعنا هذا أيام مشهودة ، ترفرف علينا فيها نعمة الاستبشار ، وتهتز فيها نفسنا هزة الرضا .

من هذه الأيام يوم استقبال عضو جديد ينضم إلى سدنة العربية . نحن اليوم فى عيد سابغ ، نستقبل فيه أربعة من أساطين اللغة ورواد الفكر .

ويسعدنى أن أبدأ باستقبال أحدهم وهو الأستاذ الدكتور مجدى وهبة ، وهو صاحب أربعة أسماء اختصرها باسمين عرف بهما فى مؤلفاته ، وبهما يدخل اليوم مجمعنا الموقر : فهو يوسف مجدى مراد وهبة ، المعروف باسم الدكتور مجدى وهبة ، الذى ولد فى التاسع عشر من أكتوبر سنة ١٩٢٥ .

وكانت نشأته التعليمية نشأة ثرية بفروع المعرفة : فقد تلقى التعليم الابتدائى والثانوى بالمدرسة الإنجليزية بالقاهرة ، ثم التحق بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، وحصل منها على الليسانس سنة ١٩٤٦ ، وسافر عقب ذلك إلى فرنسا ، وحصل على دبلوم عال فى القانون الدولى من جامعة باريس سنة ١٩٤٧ .

وعندئذ جذبته إليها الدراسات الأدبية ، فانتقل إلى جامعة أكسفورد ، وحصل منها سنة ١٩٤٩ على درجة الليسانس بمرتبة الشرف فى الأدب الإنجليزى . وواصل فيها دراسته حتى حصل فى سنة ١٩٥٤ على درجة الليسانس فى الآداب ، وهى التى تؤهل الدراسة الدكتوراه . (وهذا نظام شبيه بنظام الماجستير فى جامعاتنا) .

وفى سنة ١٩٥٧ حصل من هذه الجامعة على درجة الدكتوراه فى الأدب الإنجليزى . فجمع بذلك أرفع الدرجات فى الأدب الإنجليزى من أعرق جامعة بريطانية .

وعاد الى الوطن فوجد مكانه الطبيعى فى قسم اللغة الإنجليزية وآدابها بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، مدرسا حتى سنة ١٩٦٥ ، فأستاذا مساعدا حتى سنة ١٩٧٢ ، فأستاذا للأدب الإنجليزى من ذلك التاريخ حتى اليوم .

وفى أثناء تلك المدة لدب وكيلا لوزارة الثقافة من سنة ١٩٦٦ حتى سنة ١٩٧٠. وينتظم نشاطه الأدبى أربعة فروع من الإنتاج :

اولا : الترجمات الى اللغة العربية :

(أ) راسيلاس أمير الحبشة ، تأليف الدكتور صمويل جونسون سنة١٩٥٩ (بالاشتراك) :

(ب) لن تحدث حرب طروادة : وهى مسرحية فرنسية لجان جيرودو سنة ١٩٦٤ :

(ج) مقال فى الشعر المسرحى ، لجان درايدون (بالاشتراك) :

(هـ) قدماء الإنجليز وملحمة بيولف ، مترجمة عن اللغة الانجلوساكسونية ، سنة ١٩٦٦ :

ثانيا : الترجمات الى اللغة الانجليزية :

Renè Huygh, Trois Conférences Aur I' Art .

(أ) عن الفرنسية سنة ١٩٦٥ :

(ب) أحلام شهرزاد لطه حسين سنة ١٩٧٤

(ج) إبراهيم الكاتب لعبد القادر المازنى سنة ١٩٧٦ :

ثالثا : المعاجم :

(أ) An Arabic Phrase Book for use in U. A. R.

(ب) معجم مصطلحات الحضارة إنجليزى عربى سنة ١٩٦٨ .

(ج) معجم الفن السينمائى (انجليزى ، فرنسى ، عربى) سنة ١٩٧٢ بالاشتراك .

(د) معجم مصطلحات الأدب (إنجليزى ، فرنسى ، عربى) سنة ١٩٧٤ :

(هـ) معجم العبارات السياسية الحديثة (إنجليزى ، فرنسى ، عربى) سنة ١٩٧٨ بالاشتراك :

رابعا : اعمال مؤلفة :

(أ) مطالعات فى الأدب والسياسة سنة ١٩٦٠ نشر بالقاهرة :

(ب) السياسة الثقافية فى مصر (باللغة الإنجليزية) نشر اليونسكو بباريس سنة ١٩٧٢ :

(جـ) مجموعة مقالات فى مجلة السياسة الدولية « والأهرام الاقتصادى » « وعالم الفكر» ومجلة كلية الآداب جامعة القاهرة :

ولقد تمر بهذه الثروة العلمية مراكبا فتثير احترامنا ولكن إعجابنا (الذى أرى أنه يفوق احترامنا) يتجلى عندما نقف عند بعضها ، على الأقل، لنرى أن من بين ما ترجمه الدكتور مجدى وهبه إلى العربية، نصوصاً لقمة الأدب والنقد الإنجليزى على مدى عصوره المختلفة ،وهو الدكتور صمويل جونسون : وإن من بين ماترجمه إلى العربية كذلك ملحمة بيولف من اللغة الأنجلوساكسونية التى لا يتجاوز عدد العالمين بها فى إنجلترا بضع مئات ، ولست أدرى عدد عارفيها فى مصر :

كذلك يسترعى نظرنا قدرته فى الترجمة إلى الإنجليزية لنصين عربيين ، قد يظن أنهما من الأمور الهينة فى الترجمة : أحدهما لطه حسين ، والآخر لإبراهيم المازنى ، وأسلوب طه حسين ، بما فيه من ميل إلى الترادف وإلى التنغيم الموسيقى ، تشق ترجمته إلا على القادرين ، وأسلوب المازنى ، وما يتضمنه من الفكاهة ، لا يقوى على نقله إلى لغة أخرى إلا خبير بأساليب الفكاهة فى اللغتين .

وإن تقديرنا لجهد الدكتور مجدى وهبة فى تصنيف المعاجم نشعر به فى لجان المعاجم فى مجمعنا هذا ، ولا سيما المصطلحات الحديثة ، ففى معجمه للعبارات السياسية الحديثة أكثر من عشرة آلاف عبارة لم يكن اختيارها سهلا ولا عشوائيا ، بل كان نتيجة لاستخلاص العبارات التى تستخدم فعلا ، كما استقاها المؤلف من صحيفة «التايمز الإنجليزية» و«النيويورك تايمز الأمريكية» و«الليموند الفرنسية» ، وأمهات الصحف اليومية فى العالم العربى ، ومن محاضر المؤتمرات والمعاهدات .

وفى معجمه لمصطلحات الأدب نرى الشبكة المترامية الأطراف التى ألقى بها فى خضم الأدب العربى والإنجليزى والفرنسى فبينما يعرف المجاز المرسل ، وادغام المتحركين ، والطباق ، ونظام الأمالى فى التأليف العربى نجده يعرف الرمزية ، والسوئنيت ، والقافية الثعبانية ، والساجا ، وروى الصدارة Alliteration إلخ .

ونجد لمحة من تصور الدكتور مجدى وهبة لنشأة المعرفة وتفرعها فى افتتاحيته لهذا المعجم إذ يقول : برغم أن هذا المعجم قد عنى أساسا بالمصطلحات الأدبية الخالصة إلا أن الباحث سيعثر فى ثناياه على مصطلحات فلسفية أو اجتماعية أو دينية ، أو فنية ، وذلك لأن المعارف الإنسانية اتخذت فى بدء أمرها شكلا موسوعيا قبل أن تنمو وتتفرع إلى فروع ؛ على أننا لا نستطيع أن نضع حدا فاصلا بين ألوان المعرفة بعضها وبعض : فأرسطو فيلسوف وأديب ، وابن جرير الطبرى مؤرخ وأديب ، وعمرو ابن الفارض متصوف وشاعر ، وللخوارج والشيعة والمعتزلة والمتصوفة فى الإسلام أدب ، والبلاغة العربية قبل أن تحجرها قواعد أرسطو بصيرورتها علما من العلوم . كانت من صميم الأدب ، بل كانت هى الأدب بعينه ، هكذا الحال عند جميع الأمم والشعوب ، مهما اختلفت أجناسها وأسراتها اللغوية .

وتتجلى الأمانة العلمية عند زميلنا الجديد فى اعترافه بفضل مجمعنا هذا فى معاجمه التى ألفها ، فهو يذكره فى مراجعه .

وبعد فهذه لمحة خاطفة عن الأعمال الأدبية للزميل الجديد الذى أتاحت له ثقافته أن يؤدب القانون ، وأن يقنن الأدب .

سيدى الرئيس ، سادتى أعضاء المجمع : بتفويضكم لى سعدت باستقبال الدكتور مجدى وهبة ، وبإذنكم أدعوه للجلوس بينكم .

مهدى علام
الأمين العام للمجمع

أ ـــــ •• كلمة الدكتور مجدى وهبة

أستاذى وسيدى رئيس مجمع اللغة العربية :

أستاذى وسيدى الأمين العـــام للمجمع :

أساتذتى أعضاء المجمع :

سيداتى وسادتى :

إننى لا أستطيع أن أجد الكلمات التى تعبر عن عظيم امتنانى للأستاذ الدكتور محمد مهدى علام ، وعن شعورى العميق بأننى مدين له ، وذلك لترشيحه لى عضواً فى هذا المجمع الموقر ولكرمه الفياض فيما أسبغ على من صفات اليوم ، ولرعايته لى طوال حياتى الجامعية ، فقد كان هو والأستاذ الجليل محمد خلف الله أحد المدافعين دائماً عن إنتاجى وعملى فى جميع ترقياتى بجامعة القاهرة :

وبعد :

فماذا عساى أن أقول ، ودينى كبير ودائنى عديدون ؟ فهناك روح ترفرف على هذا المجمع وتوجه تفكيره أجيالا بأسرها ، هى روح فقيد العربية وآدابها المرحوم الأستاذ العميد الدكتور طه حسين الذى كان أول من أثار فى نفسى الولوع باللغة العربية والتطلع إلى البحث فيها ، كما علمنى دائماً أن الانتماء لهذه اللغة يستوى فيه المسلم والقبطى :

وأما أنت يا سيدى الرئيس — رئيس المجمع — فقد فجرت فى ذهنى التعلق بالفكر العربى العميق والفلسفة الإسلامية العريقة ، وفتحت كتبك وبحوثك أمام عينىّ آفاقاً لم ألجها من قبل . كما أسعدنى أستاذى الدكتور محمد مهدى علام بموازناته بين الحضارات وبحوثه فى العلاقات بين الأدب الإنجليزى وآدابنا العربية :

وأنت يا أستاذى الكبير مصطفى مرعى قد غرست فى نفسى احترام القانون ، وحببت إلى تلك المسالك الفكرية والمنطقية التى قامت عليها التشريعات الإنسانية :

وأنت يا أستاذى الدكتور عز الدين عبد الله قد كنت مثالا فريداً فى الألمعية والأناة أثناء تلقينا منك دروس القانون المدنى بحقوق القاهرة :

وان أنسى ، ماعشت ، معلماً قديراً ومفكراً بارعاً وهو المرحوم فضيلة الشيخ عبد الوهاب خلاف — أستاذ الشريعة بحقوق القاهرة — فقد كان أول من ألهمنى روح الشريعة الإسلامية ، ووقفت عن طريقه على منطقها السليم وروحها الإنسانية الحكيمة :

وما قلته يا سادتى قليل من كثير ممـــا أنا مدين به لأساتذتى الذين يسعدنى ويشرفنى أن أجلس فى مجمع هم جميعاً من أعضائه ، وإنما يذكرنى وجودى بينكم باحدى كليات جامعة أكسفورد العريقة ، التى كان ينتخب

أعضاؤها وأساتذتها ممن قضوا حياتهم فى خدمة العلوم الإنسانية ، وبينهم طالب واحد فقط : حتى يصدق عليها اسم « كلية » ، فهؤلاء العلماء الأعضاء هم أنتم يا سادتى — وأما الطالب الوحيد فهو المتحدث إليكم : وقد كان تفضلا عظيماً منكم أن تسمحوا لى بالجلوس بين صفوفكم :

ويجدر بى فى هذا المقام أن أشير إلى تقليد عريق فى تاريخ الثقافة العربية : هو تمجيد مركز المعلم فى المجتمع العربى : وكلنا يذكر شيوخ الأزهر وما لهم من إعزاز وتبجيل ، ومعلمى المدارس العليا ، ومنها دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعى ومدرسة المعلمين العليا ، وما لهم من احترام فى نفوس الجميع ، ثم أساتذة الجامعات المصرية ، وما شغلوا من مراكز ممتازة بين المواطنين ، لما تركوا من آثار فى تهذيب النفوس وتنمية العقول وتقوية الروح الوطنية :

فكل هذه المعاهد قد خرجت لنا نخبة من المعلمين كانوا كواكب نيرة أخرجوا تلاميذهم بغزارة علمهم وسمو أخلاقهم من الظلمات إلى النور ، وكانوا خير مثل للأخلاق الفاضلة والتفكير السليم ، ونهضة مصر فى الحقيقة مدينة لهم بما وصلت إليه من تقدم ورقى :

وليس مجمعنا هذا إلا مظهرا من مظاهر ذلك التقليد العريق ، فانه يضم طائفة من أئمة فقهاء اللغة وأساتذة المواد المختلفة ، كان انتخابهم ثمرة لتبحرهم فى العلوم والفنون وتقديراً لممارسة كثرتهم مهنة التعليم وتفوقهم فى شتى مناحيها . فنالوا بذلك تكريماً لم ينله سلطان المال ولا بريق الحياة الدنيا :

ومن هذه النخبة الفاضلة فقيدنا العظيم المرحوم الأستاذ عبد الحميد حسن :

وإذا كنت لم أتشرف بالاتصال المباشر بالفقيد فان ما أجمع عليه زملاؤه ومن تتلمذوا عليه ، وما خلفه من آثار علمية وأدبية ، لا يترك فى نفسى أدنى شك فى أنه كان مربياً فاضلا وعالما جليلا ولغوياً نادر المثال :

ولد الفقيد بالقاهرة ، وتلقى تعليمه فى مدارسها ، وفى الأزهر الشريف ودار العلوم ، وتخرج فيها سنة إحدى عشرة وتسعمائة وألف للميلاد ثم أوفدته وزارة المعارف إلى انجلترا ، وهناك قضى فى دراسة التربية وعلم النفس والأدب والإنجليزى أربع سنوات ،

ثم عاد إلى القاهرة ودرس اللغة العربية بمدارسها الثانوية ، ثم التربية وعلم النفس بدار العلوم والمعلمين العليا ومعهد التربية كما نقل مفتشا للغة العربية بعض الوقت ، غير أن دار العلوم حظيت بالنصيب الأوفر من علمه وفضله ، اذ ظل يدرس فيها إلى أن أحيل للتقاعد ، وهو وكيل لها ، سنة تسع وأربعين وتسعمائة وألف :

وفى سنة إحدى وستين وتسعمائة وألف انتخب عضوا بمجمعنا هذا :

أما إنتاج الفقيد فقد كان متعدد النواحى عميق الأثر ، فلم يقتصر على التربية وعلم النفس والأدب وتاريخه وعلم التجويد فحسب ، بل تعدى ذلك إلى إلقاء بحوث أصيلة قيمة فى مؤتمرات المجمع ، كالمرونة فى اللغة العربية ، والترخص والتوسع فى بعض القواعد النحوية ، وأثر المذهب الكوفى فى تطور النحو العربى واللغة العربية وتيسيرهما ، والخصائص الصوتية للحروف الهجائية .

ولم يفته أن يقدم بحوثا دينية لمجمع البحوث الإسلامية الذى كان عضوا مؤسسا فيه منذ إنشائه كالتربية الخلقية والاجتماعية فى السنة النبوية ، ومكانة بيت المقدس فى الاسلام ، وأن روح الإسلام تمثل أقوى دعامة لإصلاح المجتمع .

ومن هذه اللمحة السريعة إلى ما اتصف به الفقيد من سموّ الخلق وغزارة العلم وسعة الأفق ، ترون سيادتكم أننا قد فقدنا بوفاة المرحوم الأستاذ عبد الحميد حسن مثالا فريدا قل أن يجود الزمان بمثله فى سماحته وعطائه ودقته ووفائه ونشاطه المتواصل.

رحم الله الفقيد وأمكننا من السير على نهجه وتحقيق ما تمناه .

أستاذى السيد الرئيس :

لا يفوتنى قبل أن اختم كلمتى أن أشيد بالجهود المثمرة الصادقة لهيئة المجمع فى العشرين سنة الأخيرة ، فقد أخرجت لنا فى هذه المدة المعجم الوسيط وعشرين مجلدا فى مصطلحات العلوم والفنون ، وحرف الهمزة من المعجم الكبير ، فضلا عن البحوث اللغوية الرائعة ، والمقالات الأصيلة القيمة التى ألقيت فى مؤتمرات المجمع أو نشرت فى مجلته .

ولا اريب أن جميع العرب يحمدون للمجمع ما قام به من أعمال جليلة ، وإن كنا لا نزال نطمع فى المزيد ، فالمعجم الكبير لم يتجاوز نشره حرف الهمزة مع أنه سيكون المرجع العمدة فى معرفة الألفاظ العربية وتاريخها وعلاقاتها بغيرها من اللغات السامية واللغات الأخرى ، وأملى ألا تنقضى السنوات العشر القادمة دون أن يتاح للمجمع الموقر إخراج هذا المعجم كاملا إن شاء الله تعالى .

وختاما أكرر لسيادتكم امتنانى وشكرى ، وإذا أذنتم فإننى فى أدب واستحياء أتخذ مجلسى بينكم .

مجدى وهبة
عضو المجمع

فى استقبال الأستاذ الشيخ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

سيادة رئيس مجمع اللغة العربية :

السادة الأعضاء الزملاء :

سيداتى وسادتى :

استن مجمع اللغة العربية الموقر سنة حميدة منذ نشأته إلى اليوم ، أن يحتفل بمن يفوز بعضويته ، ويرحب به ترحيباً أخوياً ودياً ، يتمثل فى تعريف به ينهض به أحد الأعضاء ، يعقب هذا التعريف شكر من العضو الجديد وتقدير لسلفه ، وتعريف بإنتاجه ، وحفاوة بذكراه .

وهى سنة حميدة حقاً ، تجمع بين الترحيب بالقادم والتقدير للراحل ، بين الحفاوة بالخلف والوفاء للسلف ، شبيهة بالحال التى هنأ فيها جمال الدين بن نباتة السلطان الأفضل بالملك ، وعزاه فى والده المؤيد ، فقال :

هنـــاء محاذاك العزاء المقـــدما
فمـــا عبس المحزون حتى تبسما
ثغور ابتسام فى ثغور مـــدامع
شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما
مليكان هذا قد هوى لضريحه
برغمى وهـذا للأسرة قد سما

وقد عهد إلى المجمع الموقر أن أنوب عنه فى الترحيب بالعضو الجديد الزميل الكريم صاحب الفضيلة الشيخ أحمد هريدى .

ويقتضينى هذا الترحيب أن أعرض نبذة عن حياته العلمية ، وعن حياته العملية ، ثم أعرف بإنتاجه ، ثم أعقب بتقدير نابع من خبرة ومخالطة .

أما حياته العلمية فانه بعد أن ولد فى ١٥ مايو سنة ١٩٠٦ ببلدة النقاعى التابعة لمركز ببما بمحافظة بنى سويف حفظ القرآن الكريم بمكتب القرية ، ثم درس بالجامع الأزهر ، ودرس بكلية الشريعة ، وكان أول خريجيها ، ثم التحق بتخصص القضاء الشرعى بها مدة سنتين ، وكان أول المتخرجين سنة ١٩٣٦ .

وعمل بالمحاكم الشرعية فى وظيفة موظف قضائى — وهى تماثل وكيل النيابة فى النظام

المدنى — ، ثم عين قاضياً من الدرجة الثانية سنة ١٩٤١ ، واختير للتفتيش القضائى الشرعى بوزارة العدل ، ثم عين قاضياً من الدرجة الأولى سنة ١٩٤٨ ، ثم وكيلا للمحكمة الكلية الشرعية سنة ١٩٥٢ ، ثم رئيساً لمحكمة — المنصورة الكلية الشرعية سنة ١٩٥٤ ٠

ولما ألغيت المحاكم الشرعية سنة ١٩٥٥ عين رئيس نيابة بمحكمة النقض ٠

وفى سنة ١٩٦٠ اختير مفتياً للجمهورية ٠

فلما بلغ سن التقاعد سنة ١٩٦٦ جددت الدولة مدة عمله أربع مرات ، فى كل مرة سنة ، تقديراً لعمله وفضله ، حتى انتهى من العمل سنة ١٩٧٠

وفى سنة ١٩٧٣ عين عضواً بمجمع البحوث الإسلامية ٠

ولقد شارك فى أعمال جليلة أخرى ، فكان عضواً باللجنة التى اختارت أحكام قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ، واختير لتدريس نظام الحكم فى الإسلام ، ونظام القضاء فى الإسلام بتخصص القضاء الشرعى بكلية الشريعة الإسلامية وبالدراسات العليا بها ، وبالدراسات العليا بكلية الحقوق بجامعة القاهرة .

وشارك فى مؤتمرات ولجان شتى ، فساهم فى المؤتمر الإسلامى بماليزيا سنة ١٩٦٨ ، وألقى فيه بحثاً عن نظام الزكاة .

وساهم فى لجنة تعديل القوانين واستمداد أحكامها من الشريعة الإسلامية سنة ١٩٧٢ بمصر وبالكويت ٠

وشارك فى لجان المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، وكان رئيس لجنة موسوعة الفقه الإسلامى ٠

وهو عضو بالمجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ، ويحضر مؤتمرها السنوى ٠

وأما بحوثه فكثيرة ، نشر بعضها فى أعداد من موسوعة الفقة الإسلامى ، وكثير منها ما زال مخطوطاً ، مثل نظام الحكم فى الإسلام ، نظام القضاء فى الإسلام ، نظام الزكاة ، الولاية على النفس والمال ، رؤية الهلال ، الإسقاط ، الولاية العامة والخلافة ، نظام الإقرار ، نظام الشهادة ، قتل الجاسوس ، نظام تطبيق الحدود الشرعية ٠

سيدى الرئيس :

السادة الزملاء الأعضاء :

سادتى :

يسرنى أن أقدم إلى مجمع اللغة العربية الموقر عالما جليلا ، يليق بالمجمع ، ويليق به المجمع ، لأنهما يتشابهان فى عدة وجوه :

فالشيخ أحمد هريدى رجل وقور ، والمجمع قمة فى الوقار : وهو رجل عالم ،

والمجمع غنى بعلمائه . وهو رجل بحاثة ، والمجمع يمتاز ببحوثه ومبتكراته .

وهو رجل يعمل فى صمت ، والمجمع ينهض بأعمال جليلة فى صمت . وهو رجل هادىء ، والمجمع يجاهد فى هدوء ، ويؤثر الهدوء ، وهو رجل تجاوز السبعين ، والمجمع منتدى الخبراء والخالدين : ثم إنه رجل لم يقرع باب المجمع ، ولم يعلم بفوزه إلا بعد أن تم الانتخاب ، ولقد عرفته وخبرته وصاحبته فى أعمال إسلامية فى مصر وفى مكة المكرمة ، فكان فى كل شؤونه صاحب أخلاق فاضلة ، وسجايا طيبة.

أرجو أن يمنحه الله من العمر والصحة والتوفيق مايتيح له أن يخدم اللغة العربية والثقافة الإسلامية بمجمع اللغة العربية العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله :

احمد الحوفى
عضو المجمع

•• كلمة الأستاذ الشيخ أحمد هريدى

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدى الرئيس :

سادتى :

سأعنى نفسى من بعض التقاليد التى تحكم حياتنا وتفرض علينا قيوداً قد تكون ثقيلة فى بعض الأحوال التى قد لا تلائمها القيود، أحدثكم بأنى قد شعرت بفخر واعتزاز عندما تحدث إلى الصديق الكريم والعالم العظيم عبد العزيز محمد عضو المجمع مهنئاً بانتخابى عضواً بالمجمع، وكان مبعث فخرى أننى قد أصبحت بين هؤلاء النفر الكرام من العلماء والمفكرين وقادة الرأى، وقد تفضلوا فأولونى ثقتهم الغالية، وأحسنوا الظن بى فاختارونى زميلا لهم. ولعله من المألوف أن تستخف الإنسان الغبطة ويغمره السرور حين يظفر بنصيب من الشرف العظيم على مثل هذه الصورة الكريمة الرائية أن تفيض به وتقدمه نفوس الصفوة المختارة من علماء الأمة ومفكريها.

ولن أحاول هنا أن أقابل جميل صنيعكم بالشكر والثناء والتقدير، لأستزيدكم فأظفر بعد الثقة والتأييد بالمحبة والرضا فما أنا — إن حاولت — ببالغ غايتى من تصوير شعورى والإعراب عن إحساسى، فليتول الله شكركم. وليلهمنى من القدرة على العمل ما يحقق رضاءه عنى.

سأحدثكم فى هذه الكلمة عما تركه سلفى العظيم الدكتور كامل حسين من الآثار فى ميدان العلم والأدب وكامل حسين هو الطبيب الأديب العالم الناقد الدقيق الذى جمع بين دقة العلماء ورقة الأدباء. . . تخرج من كلية الطب وسافر فى بعثة دراسية إلى إنجلترا ١٩٢٥، ومكث بها خمس سنوات حصل خلالها على ألقاب علمية ممتازة. منها زمالة الجراحين الملكية وماجستير جراحة العظام. وعاد إلى مصر سنة ١٩٣٠ وعين مدرساً بكلية الطب. ثم أستاذاً مساعداً ثم أستاذاً لجراحة العظام. قال عنه الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع فى حفل استقباله بالمجمع ١٩٥٢. « وكامل حسين عالم علمى أدق وأكمل مايراد بهذا الوصف؛ فهو مؤمن بالتجربة إيماناً لايقل عن إيمانه بالعقل . . يؤمن بها لأنها سبيل كشف الحقيقة وكسب المعلومات . . وكثيراً ماردد كلمة « هنرى برانكاريه » الرياضى الفرنسى المشهور : إن الغرض العلمى الخصب هو ذلك الذى يقود إلى إنتاج حقائق جديدة : لهذا كله عنى كامل حسين بالتجربة ودعا إليها فى مناسبات شتى. وكامل حسين يؤمن أيضاً بالعقل

إيماناً كاملا لأن التجربة تنصب عادة على وقائع جزئية لايفيد منها العلم الفائدة المرجوة إلا إن استخلص منها العقل القضايا الكلية والأحكام العامة فهو يريد ذلك العقل العلمى الذى يحلل ويحلل ، لا ذلك العقل الإقطاعى كما يسميه أحياناً أو عقل القرون الوسطى الذى يسلم ويستسلم ، فلا ينقد ولا يناقش ولا يخترع ولا يبتكر . . وهو فى ربطه بالعقل يدرك فى وضوح مدى الصلة بين الطب والفلسفة ؛ فهو فى نفسه فيلسوف بقدر ماهو عالم وطبيب ، وعنده أن العلم عقلية ومنهج . . . وهو مغرم جداً بالمنهج والدراسة المنهجية ، وذلك من أخص خصائص العلم والعلماء » . ذلك بعض ماقاله الدكتور إبراهيم مدكور فى عالمنا الراحل .

وليس كامل حسين بالعالم فحسب بل هو أديب كذلك . . وقد دفعه علمه إلى دراسة الأدب ؛ لأنه كان يرى أن الحقائق العلمية فى مسيس الحاجة إلى تعبير سليم يكشف عنها .

وقد درس كامل حسين الأدب دراسة أخذ فيها بمنهج المقارنة والتحليل يقاس فيه اللفظ بمقياس المعنى فإن لم يلائمه عدل عنه إلى لفظ آخر أكثر ملاءمة . . وقارن فى دراسته أدباء العربية بعضهم ببعض ، وقارن بينهم وبين بعض الأدباء العالميين ، وهو يميل فى أسلوبه الأدبى إلى السهولة والوضوح ، فلا يرتضى اللفظ الغامض ولا يرتاح إلى التعبير المعقد : وعنده أن الكاتب يكشف عن كثير من صفاته العقلية والخلقية والنفسية وإنه ليس أحد من الناس يضطره عمله أن يعرض نفسه على الناس جبراً على النحو الذى يقع من الكاتب . . ومن ثم كان أدب كامل حسين صورة صادقة لنفسه وعلمه ومشاعره . ولكامل حسين مذهب فى الأدب ضمنه نصائحه لشباب الكتاب فى كلمته التى ألقاها فى الاحتفال بمنحه جائزة الدولة للأدب . إذ قال فيها : على شباب الكتاب ألا يحاولوا عملا ضخما تتحدث عنه الأوائل والأواخر ، حتى لا يكبلوا أنفسهم بقيود تحد من قدرتهم . . وليس على الكاتب إلا أن يعنى بالموضوع والأسلوب . ويستمد الموضوع من حياته وخبرته . ولا يضيف شخصيات من نسج الخيال .

ولا يصف وقائع لم يشهد لها شبيها فى حياته . . . وأن يكون الأسلوب صورة من نفسه ومتسقاً مع طبيعته . فلا يتحدث بأسلوب الشجاعة إذا كان جبانا . ولا يميل إلى الهدوء إذا كان عنيفاً حتى يكون صادق الشعور صادق التعبير .

وقد أضاف فى كلمته التى ألقاها فى حفل استقباله بالمجمع حين تحدث عن الحياة الفكرية فى مصر الحديثة قوله :

وإنى لأدعو شبابنا أن يروضوا أنفسهم على شىء واحد فى حياتهم الفكرية وهو

الصدق . وليكن همهم أن تكون حياتهم صادقة وتعبيرهم صادقاً . والصدق كل شئ فى الحياة الفكرية . وإنى لأدعوهم فى سبيل ذلك إلى قتل الفصاحة ؛ فهى شكل محض ، وإلى تجاهل البلاغة فقد أصابنا منها شر كبير . . وقد أصبح جمالها أجوف لا يحمل أى معنى من معانى الصدق . . . وعليهم أن يتركوا وراءهم ظهرياً كل ماتعودوا أن يعدوه مثلاً عليا للأدب . . . وأن لايسعوا إلى بلوغ العظمة أو الخلود . . بل إن الجمال نفسه يجب أن لا يكون غايتهم فإن له معايير كثيرة تختلف بعدا وقربا زمانا ومكانا ويضل به من يعتمد عليه وحده .. أما الصدق فلايضل به أحد. وكل مايفسده يقضى على حياة الفكر المحض . . . . »

ملاحظة :

وقد يلفت النظر أن الدكتور كامل حسين — حين تحدث عن إعجاز القرآن فى كتاب الذكر الحكيم : تكلم عن قوة التعبير وضرب مثلا بعبارة — الله أكبر — وما تدل عليه من المعانى وقال : « ولو حاولنا ترجمة هذه العبارة ترجمة حرفية مادلت الترجمة على شئ من هذه المعانى : » وقد قال البعض إن الدكتور كامل حسين لايرى ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية لإنها لاتؤدى المعانى التى يؤديها النص العربى الكريم ..

وإذا صح أن يكون هذا تعبيرا عن رأى للدكتور كامل حسين فى عدم جواز ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية فإنه يكون قد أصاب الحق وانتهى إلى الرأى الصحيح . . . فإن ترجمة القرآن تصدق بمفهومين الأول الترجمة الحرفية للنص العربى المنزل من عند الله ، وهذا غير ممكن ولم يقل به أحد ممن درسوا الموضوع وقت أن ثار التفكير فيه ؛ لأن القرآن أساس للتشريع الإسلامى وأحكامه وقواعده ومبادئه التى تتعلق بتنظيم حياة المجتمع الإسلامى فى مختلف جوانبها وربط علاقاتهم ببعضهم وبربهم وبغيرهم من المجتمعات الأخرى من جميع النواحى وفى أوقات الحرب والسلم . وألفاظه العربية لها معانيها ومدلولاتها واحتمالاتها وتوجيهاتها التى ترتبط بها الأحكام والقواعد والمبادئ التى تكون محل اجتهاد المجتهدين واستنباطهم واختلافهم واتفاقهم . وذلك فضلا عن جانب الإعجاز اللفظى والمعنوى المرتبط بالنظم العربى . . الترجمة الحرفية ليس فيها شىء من ذلك كله وقد اتفق المسلمون على عدم جوازها . وقد أصدرت بعض الدول غير الإسلامية ترجمات للقرآن كانت مسخا وتشويها وتحريفاً للقرآن وفيها أخطاء كثيرة جداً .

والقسم الثانى ترجمة معانى القرآن بأن تؤلف لجنة من المختصين لوضع تفسير مختصر للقرآن يعتمد الصحيح والراجح

والأقرب مما فيه خلاف . ثم تؤلف لجنة على هذا الأساس لترجمة هذا التفسير . . وهذا ممكن وجائز بالاتفاق ، وقد قامت بعض الدول الإسلامية بإصدار ترجمات من هذه النوع . . ويفكر الأزهر فى عمل ترجمة دقيقة صحيحة لمعانى القرآن ونشرها لتكون بمثابة الأصل الذى يرجع إليه عند الاختلاف بالنسبة لما صدر من ترجمات المعانى .

ملاحظة اخرى :

يرى الدكتور كامل حسين عـــدم جواز تفسير القرآن تفسيراً علميا . لأن مقررات العلم خاضعة لسنة التطور والتجديد . وقد يؤديه ذلك إلى أن يلغى اليوم ماقرره بالأمس ، بعد أن يكون التفسير العلمى قد أثبته وقرره فى تفسير بعض الآيات ، الأمر الذى يثير الشك فى سلامة وصحة مايقرره القرآن ويأتى به : وأعتقد أن عالمنا العظيم يريد بالمقررات العلمية التى تحتمل الإلغاء والبطلان المقررات النظرية التى لم يقم عليها الدليل القاطع الذى يفيد العلم واليقين . أما المقررات التى أصبحت حقائق ثابتة وقامت عليها الأدلة القاطعة . فإنها ليست عرضة للإبطال والإلغاء ، ومن ثم يمكن أن يشار إليها فى تفسير الآيات الكونية والتنوية بأن القرآن سبق العلم فى تقرير ذلك :

والقول بعدم جواز تفسير القرآن تفسيراً علميا بإطلاق دون تفصيل يبين ما يكون عرضة للإلغاء والإبطال من مقررات العلم ومالا يكون كذلك ، يعيد إلى الأذهان ما كان يردده بعض الباحثين من مجافاة الدين للعلم مما لا أساس له ، فإن الدين قد مجد العلم ورفع من شأن العلماء«هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» . . «وإنما يخشى الله من عباده العلماء». وقد دعا الدين إلى تعلّم العلم وحث عليه — ولا نقول مع القائلين إن العلم الذى يدعو إليه الدين هو علم الدين وما يتصل به ويعين عليه — كعلم التفسير والحديث والفقه والتوحيد وأصول الفقه — وإنما نقول هو كل علم يرقى بحياة الإنسان وينفع الإنسان ويسير به و بحياته قدما مع ركب الحياة والحضارة والتقدم العلمى الحضارى .

والله تعالى حين أراد أن يستخلف الإنسان فى الأرض لعمارتها واستخدام ماأودعه فى الكون من أسرار وعجائب ومكونات لمصلحة الإنسان والارتقاء بحياته ، أشارت قصة القرآن الكريم فى ذلك إلى أن أساس الصلاحية للاستخلاف هو العلم والقدرة على تحقيق العمارة ،وتفهم أسرار الكون، ثم الإيمان بخالق الكون ومبدعه . وتلك هى غاية الدين وهـــذا هو أساســه العريض : الإيمان والتوحيد والتنزيه :

وقد نجح الإنسان فى خلافته وعمر الأرض وأثار الحياة زاخرة فى جوانبها ، وكشف بالعلم والاختراع كثيراً من أسرارها وعجائبها، وامتد الإصلاح إلى كل ركن فيها . . . وصعد الإنسان إلى القمر بوسائل العلم وآثار العلم ، ونزل على سطحه ونقل إلى الأرض بعضاً مما يحتويه : وهو يواصل الآن أبحاثا عن الحياة فى القمر ونوع هذه الحياة ومدى مايمكن أن تكشف عنه أو يترتب عليها من آثار ، وما عسى أن يكون على صلة بالعوالم الأخرى . . . وسواء أراد القائمون بهذا العمل العلمى العظيم أم لم يريدوا أو أنه لم يكن من قصدهم ولا من تفكيرهم ، فستنتهى البشرية إلى الإيمان بخالق الكون كله ومـا فيه من أسرار وعجائب ومكنونات ، وأنه إله واحد خالق بر مدبر قادر ، وهذا الإيمان هو دعوة الدين وغايته : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله . » وذلك ما أدى إليه العلم ؛ فالعلم يخدم الدين ، والدين يدعو إلى العلم ويفتح آفاقه ويحض على تعلمه . . . وفى مجال الحقائق الثابتة لن تكون بينهما مجافاة ولاتناقض فليس من منطق الدين أن نمنع تفسير القرآن الكريم تفسيراً علمياً فى نطاق الحقائق الثابتة . وليس من منطق العلم أن نباعد بينه وبين الدين فى هذا النطاق .

احمد هريدى
عضو المجمع

كلمة الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

فى استقبال الدكتور

السيد رئيس المجمع : السادة الزملاء !

لقد كان من مقضى إرادة الله . مقلب الليل والنهار ، أن تنفض تركيا يديها من العالم العربى والإسلامى ، منذ امتدت يد كمال أتاتورك إلى الخلافة الإسلامية ، فقضى عليها . كما قضى على السلطنة العثمانية سنة ١٩٢٤ . وبكى كثير من الباكين الخلافة وعلى رأسهم شاعرنا العظيم أحمد شوقى حين قال من مرثيته الرائعة :

عادت أغانى العرس رجع نواح
ونعيت بين معالم الأفـراح
ضجت عليك مآذن ومنابر
وبكت عليك ممالك ونواحى
الهند والهة ، ومصر حزينة
تبكى عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل ، والعراق ، وفارس
أمحا من الأرض الخلافة ماح ؟

وعلى الرغم مما قام بين العرب والترك من صراع على أثر الانتفاضات العربية الواعية فإن بعض عقلاء الترك — وعقلاء الأمم عادة هم علماؤها — صرحوا بفضل العرب وتأصلهم فى الحضارة ، إذعانا للحق الذى لاينكره إلا مكابر. كالذى كتبه الباحث الأديب التركى المنصف : سليمان نظيف ، فى مجلة الاجتهاد التركية سنة ١٩١٣ قائلا : (إن العرب هم الذين أرشدونا إلى سواء السبيل .وهم أساتذتنا المعلمون بل هم كل شئ بالنسبة لنا . . حتى إذا أعدنا للعرب ماأخذناه منهم ، فلا يبقى لدينا إلا جبة ذات أكمام طويلة . .)

ولقد استمرت صلتنا بالأتراك منذ الفتح العثمانى لمصر أكثر من أربعة قرون ، تركوا خلالها — فينا وفى العالم العربى كله — كثيرا من طابعهم وألوان طعامهم وألفاظ لغتهم ، وإن كنا بدأنا اليوم ننقى لغتنا العربية ونحررها من كل دخيل ، إلا ماتقضى به ضرورات التقدم العلمى الحديث .

وليس عجيبا أن يقوم شاعر تركى هو « عاشق زاده » . . فى القرن الرابع عشر

الميلادى ، فيشكو انصراف الأدباء الأتراك عن اللغة التركية وازدراءهم إياها ، وعدولهم عنها إلى الفارسية ، ثم يجىء دارس مصرى فى أخريات القرن الرابع عشر الهجرى ، ليهتم باللغة التركية ، ويجعلها مجال تخصصه ، وميدان دراسته . ألا ماأعظم الفرق أيها الزملاء بين الموقفين !

ومن هنا نفرح أن طرق علينا باب مجمعنا العربى متخصص فى اللغة التركية لأنه سيفتح أمامنا أبوابا للبحث فى تاريخ الأتراك وحضارتهم ، وتطور الفكر واللغة والحياة الروحية عندهم :

وإذا كنا نقيم وزنا لعدد من اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية ، لأهميتها لنا فى مجالات كثيرة : علمية وأدبية ، فهل غريب أن نقيم وزنا للغة شرقية ربطت الأقدار بيننا وبين أهلها زمانا طويلا؟ حتى لقد كان منهم علماء سجلوا تراثنا الفكرى العربى وأحصوه إحصاء دقيقا ، كالذى صنعه فى القرن الحادى عشر الهجرى — السابع عشر الميلادى « حاجى خليفة » صاحب (كشف الظنون) ، ولا أزيدكم به علما ، وكالذى يصنعه اليوم عالم تركى مستعرب حين كتب بالألمانية (تاريخ التراث العربى) فى بضعة أجزاء ضخام ، ظهر منها فى الترجمة العربية جزآن ، فأرى على بروكلمان واستكمل نقصه وغطى عليه بما بذل من مجهود تنوء به العصبة أولوالقوة.

وقد يكون عمل العالم التركى هذا :

« فؤاد سزكين » فى (تاريخ التراث العربى) دينا فى أعناق العرب جميعا ، لايجزئ عنه إلا أن يكون بيننا — فى مجمعنا العربى — دارس باحث مصرى عربى متخصص فى اللغة التركية وآدابها ، وتراثها الصوفى حتى نرد لعلماء الأتراك المستعربين بعض الجميل ، وحتى نؤكد حبنا لعلاقات الحب بين الشعوب .

ولكن هذا الزميل الجديد الذى دخل مجمعنا بعد ماستأنس وسلم على أهله ثلاث مرات ، لم تلفته اللغة التركية عن لغة آبائه العرب ، فهو حفى بها ، متمكن فيها منذ أن كان طالبا ناشئا فى مدرسة المنصورة الثانوية .

وللمنصورة فى نفسى ذكريات ليس هنا مجال عرضها ، ولكن الطالب المنصورى القديم ، والزميل الجديد لى ولكم ، فى هذا المجمع ، أبى إلا أن يثير فى نفسى بعض ذكريات تصلنى به . والزميل الجديد الدكتور أحمد السعيد سليمان أستاذ اللغات الشرقية بآداب القاهرة ورئيس القسم فيها ، هو نفسه الذى ذكرنى ببعض ذكريات محاها الزمن من ذاكرتى ، ولكنها بقيت فى ذاكرته زاهية اللون . فقد كنت مدرسا فى المنصورة الثانوية ، ولا أذكر اليوم — بعد أكثر من أربعين عاما — لون سترة كنت أرتديها ، فقد أنصلت السنون

كل لون فى عينى ؛ ولكن التلميذ أحمد السعيد يذكرنى الآن بلون سترتى ، وبطرازها الإنجليزى المميز ! فقد كانت مما حملته معى من انجلترة بعد عودتى من البعثة فيها . . . ويزيد الدكتور أحمد السعيد فيذكرنى بأنى دخلت فصله يوما — لا مدرسا أصليا — ولكن بدلا من زميل غائب ، ودرست للطلاب شيئا من الأدب الحديث ، وكان مقررا عليهم ، ويذكرنى بما رويته لهم من أبيات زجلية قالها عثمان بك جلال — صاحب « العيون اليواقظ » ومترجم لافونتين إلى العربية شعرا — قالها حين تعمد الوزير رياض باشا أن يفوت عليه الترقية فبعث إليه ببرقية شكوى من الشعر العامى يقول فيها :

الخبر على كل الناس فاض
أ ماعادش حد الا استكفى
واشمعنى أنا ياسى رياض
وقعت من قعر القفه ؟

هذا ماذكرنى به اليوم تلميذى العابر د . أحمد السعيد سليمان حين جلست معه من أيام نتذاكر الماضى البعيد ونستعيد بعض صوره : وإذا كانت الظروف لم تسعدنى بأحمد السعيد تلميذا دائما فقد سعدت به تلميذا عابرا لحصة واحدة سمح بها الزمان : : : :

ولقد كان أحمد السعيد منذ أيام الطالب فى المنصورة الثانوية طالبا ممتازا ، بل كان قارئا مدمنا مكبا على كل أثر مستطرف ، فكان (دودة كتب) كما يقول الإنجليز فى تعبيراتهم ، أو حلس كتب كما نقول نحن فى عربيتنا . وكان يحفظ غير قليل من الشعر القديم والحديث ، وينسبه إلى قائليه لايخطىء فى نسبة ، ولا يخلط فى رواية ، ولقد روى مرة بيتا ونسبه إلى صاحبه لشاعرنا الرقيق محمد الأسمر ، فأنكر مدرسه — وكان أديبا — أنه للأسمر ظانا أنه لشاعر قديم ، ثم ظهر بعد ذلك أن الحق كان فى جانب التلميذ الراوية . . وكتب طالب مرة فى موضوع الإنشاء عبارة (ولربما) فسأله مدرسه — وكأنما كان ينكر هذا التعبير — من أين جئت بهذا الاستعمال ؟ فانبرى التلميذ الراوية ليؤيد تعبير زميله بقول الشاعر أبى العتاهية :

ولربما استيأست ثم أقول : لا
إن الذى ضمن النجاح كريم

وضج الطلبة العرابيد فرحين بنصر هذا الزميل المتمكن ، على حين غطى المدرس موقفه المهزوز بقوله : (أنا لا أقع من أول قنبلة)

زملائى الأعزاء !

جرت عادة مجمعنا أن تكون الكلمات التى تقال فى استقبال الأعضاء الجدد مصدرا من مصادر الترجمة لهم وخاصة فى زمان قلت فيه الترجمة للمعاصرين أو أهملت ، وشاهدنا ملكتا ضحافيه فى لجنة

سجل الأدباء بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، التى يرأسها الزميل والأستاذ الدكتور محمد مهدى علام . ولقد أنصف المجمع حين أصدر كتاب (المجمعيون فى ثلاثين عاما) بقلم أمينه العام الدكتور مهدى علام، فسد بذلك فراغا فى عالم التراجم ماكان لغير مجمعنا أن يسده . . . ومن هنا أترجم للزميل الجديد الدكتور أحمد السعيد سليمان، وأعرف به فى هذه السطور :

ولد بمدينة المنصورة سنة ١٩٢٤ ، وحصل على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٣٥ من مدرسة خاصة . كما حصل على التوجيهية من مدرسة المنصورة الثانوية سنة ١٩٤٠ . ووجد من نفسه ميلا إلى الدراسات الأدبية ، فالتحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، وتخرج فى قسم اللغة العربية بتفوق سنة ١٩٤٤ .

واشتغل فترة بالتعليم الحر فى إحدى مدارس البنات . وكانت تجربة عسيرة عليه لم ينقذه منها إلا تعيينه فى وزارة الشئون الاجتماعية موظفا فى إدارة الدعاية والإرشاد أول الأمر ، فموظفا فى إدارة الجمعيات الخيرية بعد ذلك .

وسمت به مطامحه إلى معهد اللغات الشرقية فحصل على الدبلوم منه سنة ١٩٤٧ ، وكان الأول على فرع اللغة التركية ، وحين سجل موضوعا للدكتوراه عنوانه : (الأمثال فى النثر العربى فى نهاية القرن الأول) وكتب فيه فصولا اطلع عليها المشرف الأستاذ أحمد الشايب ، كان القدر يعده لشىء آخر . . . فرشحته كلية الآداب لبعثة الدراسات التركية لأنه كان أعلى زملائه درجة فى هذه اللغة ، فسافر إلى باريس سنة ١٩٥٠ . وهنا لاقاه القدر بالدكتور طه حسين زائرا لمكتب البعثة بالعاصمة الفرنسية ، وكان يومئذ وزيرا للمعارف ، فوجهه إلى «استانبول» لجمع مواد الرسالة فى مهد تلك اللغة . . . فقضى على ضفاف البوسفور عامين إلا أربعة أشهر عاد بعدها إلى باريس ليسجل فيها موضوع الدكتوراه ، وكان يتكون من قسمين : الرسالة الرئيسية ، وعنوانها : (العقائد البسرية للبكتاشية) والرسالة التكميلية ، وتتضمن ترجمة نص تركى صوفى منسوب إلى (قايغوسز أبدال) وهو المتصوف عبد الله المغاورى المدفون بجبل المقطم خلف قلعة صلاح الدين، مع شرح النص والتعليق عليه، وقد أشرف على الرسالة الرئيسة المستشرقان ماسينيون ، وجان ڤال . وعلى الرسالة التكميلية لويس بازان .

وعاد صاحبنا إلى مصر فى أغسطس سنة ١٩٥٦ بعد حصوله على دكتوراه الدولة من السوربون بمرتبة الشرف الأولى ، حيث عين معيدا فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ثم عين بعدها مدرسا ، فأستاذا مساعدا ، فأستاذا لكرسى اللغات الشرقية ورئيسا للقسم حيث هو الآن .

وقد وزع الدكتور أحمد السعيد سليمان إنتاجه — تأليفا وترجمة — بين التصوف والتاريخ والدراسات اللغوية . فله فى مجال التصوف الكتب الآتية : (١) العقائد السرية للبكتاشية بالفرنسية ، ولما يطبع (٢) دفتر العشاق ، وهو رسالة للصوفى عبد الله

(قايغوسز أبدال) نقلها عن التركية إلى العربية ، وقدم لها (٣) المولوية : آدابها ومراسمها مستنبطة من « المثنوى » ، بالفرنسية ونشر فى القاهرة ، وليدن (٤) وحدة الوجود وبعض الأفكار الباطنية فى الكتب التركية .

وله فى مجال التاريخ والوثائق :

(١) مخطط لتكوين أرشيف إقليمى للعالم العربى أعده للجامعة العربية بطلب منها ، وطبع ونشر فى حوليات آداب عين شمس (٢) تاريخ الترك فى آسيا الوسطى للمستشرق الروسى بارتولد ، وهو مترجم عن التركية إلى العربية (٣) قيام الدولة العثمانية للوزير السياسى المؤرخ محمد فؤاد كوبريللى ، وهو مترجم عن التركية (٤) تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، وهو فى الأصل بالإنجليزية لاستانلى لين بول — صاحب سيرة القاهرة — وابن أخت « إدوار وليام لين » وقد نقله زميلنا إلى العربية عن ترجمته التركية بقلم « خليل أدهم » العالم التركى وزاد عليه تاريخ سبع وعشرين دولة إسلامية (٥) التيارات الدينية والقومية فى تركيا المعاصرة.

أما فى مجال اللغويات ، فله : (١) ، أوزان الشعر الشعبى التركى وأشكاله ، وهو منشور بحوليات كلية الآداب ، جامعة القاهرة (٢) تأصيل ماورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ، وهو تحت الطبع .

وإذا كان الله قد بارك لزميلنا الحديد فى نشاطه ، ممثلا لجامعة القاهرة فى المؤتمر الدولى للمستشرقين الذى عقد فى مدينة كانبرا باستراليا سنة ١٩٧١ ، وأستاذاً للغة التركية وتاريخ الترك والبيزنطيين والمغول ، وتاريخ الدعوة الإسلامية بآسيا فى جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض من سنة ١٩٧٤ إلى سنة ١٩٧٨ ، ومشرفا على عشرين رسالة للدكتوراه والماجستير بجامعتى القاهرة وعين شمس ، تمت مناقشتها جميعا ؛ فإننا نرجو أن يبارك الله نشاطه بيننا ، وأن يمده بروح من عنده :

أيها الزملاء .

كأن الله أراد ليوم استقبالنا هذا أن يكون يوم استقبال الربيع فى الحادى والعشرين من آذار — مارس سنة ١٩٧٩ . وكأننا كنا فى موعد مع القدر حين كنا نقلب الرأى فى هذه القاعة لاختيار يوم لحفل استقبال زملائنا (الأربعة) الجدد . . وشاء القدر أن تكون مادة (ر . ب . ع) هى الجذر اللغوى لهذا الاستقبال . . فزملاؤنا الجدد أربعة ، واليوم هو الأربعاء ، والموسم هو يوم الربيع ٢١ مارس!! موافقات والله غير متعمدة ولامقصودة ، ولكنها طريفة ، ميمونة ، مسعودة . . نرجو أن تكون ربيعا جديدا فى حياة هذا المجمع الذى نرجو أن يكون عمره ربيعا طلقا باسما ، وشبابا دائما . . .

أما أنت أيها الزميل الجديد ! فإن هذا المجمع صومعة من صوامع الفكر ، وروضة من رياض البحث والعلم ، فتحت لك أبوابها ليتلقاك خزنتها قائلين :

سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. .

محمد عبد الغنى حسن
عضو المجمع

•• كلمة الدكتور أحمد السعيد سليمان

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه

سيدى رئيس المجمع :

أيها السادة :

يرى فريق من صوفية الترك أن الصوفى يولد مرتين مرة يوم تضعه أمه ومرة يوم يلقن العهد ويقبل عضواً فى الطريقة ، ومن قواعدهم المتبعة فى استقبال العضو الجديد أن يحلقوا رأسه ولحيته وشاربه ، وربما حلقوا حاجبيه ليكون شبيها بالطفل ساعة الميلاد ، فإن سئل هذا العضو بعد ذلك كم مضى من عمره ؟ فإنه — تأدباً بأدب الطريق — يعتبر بداية حياته من يوم إجلاسه وإلباسه الزى بيد المرشد .

وها أنا أيها السادة أولد فى مجمع الخالدين بين أيدى شيوخ اللغة والأدب وأساطين العلم وفقهاء القانون .

أولد ميلادى الثانى وقد ذرفت على الخامسة والخمسين ، وشرفت بالعمل خبيراً فى مجمعكم الموقر ثمانى عشرة سنة ، كان المجمع طوالها الجامعة الرابعة التى تخرجت فيها ، فقد تقبلتمونى مدة الخبرة بقبول حسن ، وشجعتمونى بحسن الاستماع إلىّ ، وكنت أسمع مناقشاتكم ومحاوراتكم فقبست من علمكم فى قاعات المجمع مثل ما أخذت عنكم من قبل إذ أنا طالب فى الجامعة .

لقد أسديتم إلىّ من عوارف معارفكم فى ثمانى عشرة سنة ما لأقوى على النهوض بشكره ، ثم أذن الله أن يحقق بكم أملا طالما جمجم فى الصدر ، فشرفتمونى بانتخابى زميلا أؤدى معكم فرض الخدمة تحت راية اللغة ، وأقف معكم فى المصاف أشارككم شرف الجهاد فى الدراسة والحراسة .

سيدى رئيس المجمع :

أيها السادة :

لقد صح عزمى إن شاء الله على أن أكون طوع مطالب كتابكم الباقى على الدهر . المعجم الكبير ، وعلى أن أواصل ماأنا بصدده الآن من جمع المعرب والدخيل ، وتأصيلهما إسهاما فى تيسير قراءة الكتب العربية المحررة فى العصور الوسطى ، وبخاصة فى العصر المملوكى ، فإن فى هذه الكتب طوائف من المعرب والدخيل بطل استعمالها وأغفلها أصحاب المعجمات فهى غير مفهومة للقارىء المعاصر .

نعم ! لقد أنجبت العصور الوسطى كثيراً من رجالات اللغة والأدب العربيين ،

وخرجت دواوين الإنشاء جماعة من أهل الخبرة بالكتابة الديوانية وأصحاب الكتب الموسوعية، ولكن اللغة التركية رغم هذا علت علواً جعل بعض علماء اللغة من العرب يحرصون على معرفتها ، وكما كان اللغويون الأولون يخرجون إلى البادية ليجمعوا اللغة من أفواه البدو ، خالط هؤلاء اللغويون العرب فى العصر المملوكى الأتراك، وتلقفوا التركية من أفواههم ثم أعملوا فيها أذهانهم فاستنبطوا نحوها وصرفها، ولئن كان أول معجم تركى وهو « ديوان لغات الترك » لمحمود الكشغرى قد وضع فى بغـــداد سنة ٤٦٦ هـ ، وقدم للخليفة العباسى المقتدى فإن أول كتاب فى نحو اللغة التركية وصرفها قد وضع فى القاهرة ، ولم يكن واضعه تركياً كالكشغرى ولكن عربيا نحويا مفسرا للقرآن الكريم هو أبو حيان الأندلسى المتوفى سنة ٧٤٥ هـ :

يقول أبو حيان فى مقدمة كتابه «الإدراك للسان الأتراك » . .وقد ضبطت هذا اللسان حرفاً حرفاً ، ورتبت الكلام فى اللغة على حروف المعجم باللسان التركى فأذكر اللفظة التركية وأتبعها بمرادفها من اللغة العربية ثم أردفه بعلم التصريف ثم بعلم النحو، فما كان فيه من علم اللغة فأخوذ عمن أثق به فى باب النقل ولى فيه الترتيب الغريب والتلخيص العجيب وما كان فيه من علم التصريف ومن علم النحو فهو مما لم أنسج فيه على منوال ، بل استخرجته من القوة إلى الفعل بالتطلب والتسآل فبلغت بلطيف الإدراك إلى أحسن مُراد وحصلت بكثرة السؤال أوفر مطلب وأوفى مراد وجنيت من رياض هذا اللسان فوائد ألذ من الجنى واستخرجت من بحار علومه فرائد هى غاية المنى .. ثم قال : « وماوجدته فى كتابى هـــذا مضبوطاً ورأيت من يتكلم بلسان الترك يخالفه فى زيادة حرف أو نقصه أو تغيير حركة بحركة أو تحريك مسكن أو تسكين محرك أو غير ذلك، فلتعلم أن ذلك منه لحن فى هذه اللغة إذ قد تغير كثير منها بهذه البلاد لمخالطة المستعربة وغيرهم من الأعاجم » :

وبعد كتاب أبى حيان ظهر كتاب ثان : هو كتاب « القوانين الكلية فى ضبطة اللغة التركية » لمؤلف مجهول ، يقول فى مقدمته : «وأنا أسأل الناظر فيه أن يسبل على ذيل فتوته ، ويغض عما يقع فيه من الخطأ عين مروته فإنه كما يقال من صنف فقد استهدف ومن ألف فقد استشرف وأن يقيم عذرى فى ذلك فإنى لست من الترك ولا أولادهم ولم أرحل إلى بلادهم وإنما اعتمادى على السماع منهم لكثرة مخالطتى بهم ومعاشرتى إياهم».

هذا فى العصر المملوكى : فلما كان الفتح العثمانى جعلت اللغة التركية لغة رسمية وغلب استعمالها على استعمال اللغة العربية فى الدواوين :

حتى إذا كان حكم محمد على شرع فى كتابة القوانين والتعليمات باللغتين التركية والعربية ولكن النص التركى كان يقدم على النص العربى ، ومع أن اللغة العربية بدأت تسترد مكانتها فى عهد أولاد محمد على ظل الديوان الخديوى يراسل الدواوين المصرية باللغة التركية حتى سنة ١٨٧٩ ، وبعد عشرة أعوام من ذلك التاريخ كادت القطع المحررة باللغة العربية فى الديوان الخديوى تتعادل — كما لاحظ جان دنى — مع القطع المحررة باللغة التركية ، ثم توالت انتصارات اللغة العربية فنى سنة ١٩٠٤ كان عدد القطع المحررة بالتركية أقل من عدد القطع المحررة باللغة العربية :

ولكن الديوان الخديوى التركى لم يلغ إلا بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى .

ولقد أدى شيوع اللغة التركية فى العصر المملوكى ثم غلبتها على اللغة العربية فى العصر العثمانى إلى دخول كثير من الكلم التركى فى اللغة العربية ، ولما كان الترك قد تركوا كثيراً من الألفاظ الفارسية فقد دخلت مع الكلمات التركية الخالصة كلمات فارسية بعضها كان عُرب ، من قبل الإسلام وبعضها لم يكن عُرب ، فأما مالم يكن عُرب فغير مدرج فى المعجمات العربية هو وكل الكلمات التركية وأما ماكان عُرب قديماً فقد أعيد تعريب بعضه بقواعد جديدة .

ولأضرب لكم مثلا كلمات أعيد تعريبها : كان العرب قد عربوا كلمة چنك بالجيم المشربة والكاف الفارسية بكلمة صنج ، فجعلوا الجيم المشربة صادا والكاف جيما عربية وتصرفوا فى هذه الكلمة حتى قالوا فى الأعشى إنه صناجة العرب فلما دخلت كلمة جنك فى اللغة العربية مرة ثانية فى العصر المملوكى ضمن الكلم التركى عربت بجعل الجيم المشربة جيما عربية وبجعل الكاف الفارسية كافا عربية فقالوا جنك واستعملت بهذه الصيغة فى بعض الأشعار الركيكة مثل :

لاجنك لى تضرب أوتاره
إلا ثناء يملى على جنكلى

ومثل :

بعثت لهم بجنكى بعد هذا
لأقتلهم بأطراف الأنامل

وكان العرب قد عربوا الكلمة الفارسية چادر بكلمة شوذر أى الخيمة والملحفة والإزار فلما دخلت هذه الكلمة ثانية مع الكلمات التركية قالوا فيها شادر بالألف والدال المهملة .

فلما عربوا الكلم التركى فى العصر العثمانى عربوه على قواعد غير التى عربت عليها الألفاظ الفارسية فقالوا مثلا فى الكلمة التركية چرچوه لك الشركفلك فقلبوا الجيم المشربة الأولى شينا والثانية كافا والشركفلك بيت خشبى مصفح يوضع بداخله نوع من المدافع فى أثناء الحرب .

وقد وقع مثل هذا التغيير فى كلمات تركية أخرى فقد لوحظ قلبهم الهمزة المفخمة عينا والباء المعقودة باء عربية موحدة والياء

المحركة بالضم فى أول الكلمة همزة مضمومة أو مكسورة فقد قالوا إلداش وأولداش فى الكلمة التركية يولداش .

وكلما زاد وقوفنا على ما عرب فى العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث زاد علمنا بتطور قواعد التعريب .

سيدى رئيس المجمع :

أيها السادة :

لقد زدتمونى شرفا حين بوأتمونى كرسياً كان يقتعده العلامة اللغوى الدكتور إبراهيم أنيس.

ولد رحمه الله فى القاهرة سنة ١٩٠٦ ، وحصل على دبلوم دار العلوم سنة ١٩٣٠ ، واشتغل بتدريس اللغة العربية فى المدارس الثانوية وفى سنة ١٩٣٣ فاز فى مسابقة عقدتها وزارة المعارف لاختيار أعضاء لبعثة دراسية فى أوربا فأشخص إلى لندن فحصل من جامعتها على بكالوريوس الشرف ثم على درجة الدكتوراه ، فلما عـاد عين مدرساً بدار العلوم فكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ثم أعيد إلى دار العلوم ومازال يرقى حتى حصل على الأستاذية وتقلد العمادة مرتين ، ثم انتخب عضوا عاملا بالمجمع وشارك فى لجنتى المعجمين الكبير والوجيز ورأس تحرير مجلة المجمع .

وقد وقف رحمه الله حياته على الدراسات اللغوية التى تخصص فيها فأنتج فيها كتباً ذائعة الصيت تخرج عليها جيل من أساتذة فقه اللغة بالجامعات المصرية وقد قرأت منها ستة كتب : الأصوات اللغوية (٢) اللهجات العربية (٣) موسيقا الشعر (٤) من أسرار اللغة (٥) دلالة الألفاظ (٦) مستقبل اللغة العربية المشتركة .

ولما كان الوقت لا يتسع للحديث عن هذا الإنتاج الغزير فأرجو أن يؤذن لى بكلمة عن إبراهيم أنيس من كتبه .

تشهد هذه الكتب بأنه رحمه الله قد أوتى خصلتين تكفلان له خلود الذكر فى عالم الدراسات اللغوية .

الأولى : هى الغيرة على اللغة العربية فقد كان رحمه الله أول من دعا إلى إيجاد نطق نموذجى ينشر فى جميع بلاد العرب تمهيدا لوضع اللغة النموذجية المشتركة ، ولم يقنع بالدعوة بل وضع للمشروع خطة محكمة ومفصلة تشمل إعداد المدرسين واستغلال الإذاعة وتوجيه السينما والمسرح والاستعانة بالسلطة التشريعية للقضاء على سلطان اللهجات المحلية فلا تستعمل فى المدارس ولا الإذاعة ولا دور الخيالة والمسارح .

والخصلة الثانية : هى الشجاعة فقد كان رحمه الله يرى الرأى لا يراه أحد غيره فلا يكتمه بل يجهر به فإذا هو كتاب ففصل من كتاب ، فمقال مختصر ، ولكنه فى شجاعته

وأستمساكه برأيه سمح رحب الأفق ، حلو لا تعتريه مرارة قد تخالفه الرأى ولكن لا يسعك إلا أن تشهد له بنبل القصد وبوضوح الأسلوب وجمال العرض ، وأشهد ما قرأت له كتاباً أو مقالا إلا أحسست كأنى أجالسه وأستمتع بحديثه .

لقد قضى حياته عالما مجتهدا ، يؤلف ويحاضر ، ويأتى بكل جديد ، فيكتب له أجر الاجتهاد ثناء وموحداً ، رحمه الله رحمة واسعة .

وبعد فإنى لم أوت من البيان ما أستطيع به الوفاء بحقكم من الشكر فشكر الله لكم ورزقنى وإياكم السداد فى القول والعمل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحمد السعيد
عضو المجمع

فى استقبال الدكتور الشيخ

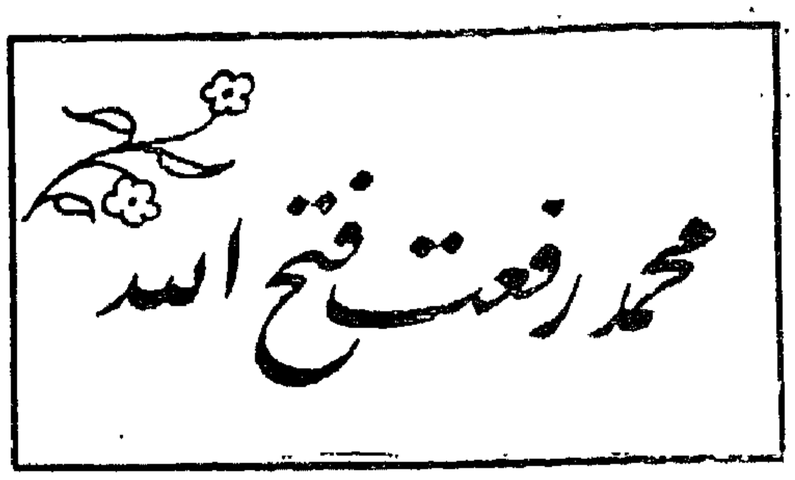

من الناس من يجمع بيننا وبينه عمل مشترك أو تصلنا به صلة ما من صلات الحياة العاملة ، فى صورها المختلفة ، ومطالبها المتجددة ، ثم لا نكاد نعرف عنه إلا ظاهرا من الأمر أو يسيرا من الواقع ، لا يقام له وزن ، ولا يعلق به طرف ، فكأننا منه ، وكأنه منا فى اغتراب ، أو كأنما ضرب بيننا وبينه بحجاب .

ومن الناس من لا نلقاه ، ولا تصلنا به صلة ، ونحن مع ذلك نعرفه فى فكره ورأيه وإن لم نعرفه فى شخصه وسمته . وخير ما فى المرء فكره ورأيه ، فبهما يوزن ، وبهما يكون التفاضل والترجيح بين الناس .

وكنت امرأ ليست له من قبل صحبة بالشيخ الدكتور محمد رفعت ، ولا جمعتنى وإياه مشاركة فى عمل ، لكنى مع ذلك كنت أسمع اسمه يتردد ، وعلمه يوصف ، كلما ذكرت كلية اللغة العربية أو دار حديث عن علماء العربية المعاصرين . فحبب إلى لقاؤه ، ونازعتنى النفس إلى صحبته .

وشاء الله أن نلتقى مرة أو مرتين فى مجلس كلية اللغة العربية ، فرأيت شخصه ، واستمعت إليه ، يعرض رأيا ، أو يعقب بملاحظة ، فتجلت لى شخصيته ، ومواهب ذهنه كما برأه الله تعالى ، فهو من أولئك الذين يرى باطنهم فى ظاهرهم ، ويعبر كلامهم عن خصائصهم ، كما يعبر عن أفكارهم وخواطرهم ، فتذكرت قول القائل :

تطابق الخبر فى رؤياه والخبر
وصادق السمع فى أوصافه البصر

وظلت شخصيته من بعد حاضرة لدى تتمثل لى حينا بعد حين ، ثم اختاره المجمع خبيرا فى لجنة الأصول ، وقرأت بحثين له قدمهما إلى اللجنة ، فازددت علما به وإكبارا له . ثم كان انتخابه عضوا فى المجمع ووكل إلى أن أقدمه إلى السادة المجمعيين ، فكانت الرغبة المرجاة ، والفرصة المواتية : أنى عرفته عن كثب ، ومن طريق قاصدة ، عرفان إحاطة وشمول ، لا عرفان مقاربة واكتفاء .

عرفت أنه قاهرى مولدا ونشأة وحياة ، وكان مولده عام ١٩١٢ ، واستقبل حياة الدراسة بمثل ما كان يستقبل به أبناء جيله ، فحفظ القرآن الكريم ، ثم لحق بالأزهر

الشريف ، يتلقى فيه علوم الدين واللغة ، ثم يمضى صعدا فى الطلب والدرس ، وينال درجاته العلمية تباعا ، فنال الشهادة العالمية من كلية اللغة العربية عام ١٩٣٧ ، ثم نال العالمية أو الدكتوراه بامتياز عام ١٩٤٤ ، وتولى فى هذا العام التدريس فى الكلية ثم مضى قدما فى مراحل التدريس حتى رقى إلى درجة أستاذ عام ١٩٦٨ ، ثم وكلت إليه رياسة قسم اللغويات فى الكلية إلى أن أحيل إلى المعاش. لقد أتيح إذن للشيخ الدكتور محمد رفعت أن يدرك طرفا من حياة الأزهر فى أيامه الخالية ، حين كان ينهج فى الدرس والبحث نهجه المتميز ، الذى عرف به وأضيف إليه . أدرك أشياخه — رضى الله عنهم — يشتدون فى طلب الحقيقة من نصوصها المنثورة هنا وهناك ، فى بطون الشروح والحواشى ، يتخللها أو يسامتها تنبيه على غائب أو استدراك لفائت ، ثم لا يزالون ينظرون فى أطوائها ، ويستخرجون دقائقها ويوجهون مسائلها إلى كل وجه ، وعلى كل احتمال :

وليس يفوتهم أو يغيب عنهم أن ينقدوا العبارة لفظا ونظما ، ويوسعوها تفسيرا وتحليلا فى دراسة بارعة ، ومناقشة واعية ، يتعاقبون فيها أخذا وردا ، وإثباتا ونقضا ، حتى ما يكادون يتركون وراءهم لقائل فيها مقالا .

نعم رأى الشيخ الدكتور طرفا من هذه الحياة ، ثم مضى مع الجامع العتيق ، وهو يأخذ بأسباب التطور والانتقال من حال إلى حال . وقد أفادته هذه الصحبة المتجددة خبرة واعدة ، وتجربة ناضجة ، استقام له معهما أن ينظر فى العربية نظرا ثاقبا ، وأن يقول فيها مقالة عالم متمرس ، وباحث مجرب .

ثم أينعت الثمرة وطاب جناها ، فإذا طائفة متتابعة من المقالات والبحوث والمحاضرات ، منها ما هو موضوعى ، يدرس ويحقق ، ثم يعرض ويقرر ، ومنها ماهو نقدى ، يتعقب المشكلات ويقرر لها الحلول .

تظاهره بينات شاهدة ، ومنطق قويم :

ولعل أدل محاضراته عليه ، وأبينها لكفايته وخصب قريحته — محاضرته العامة فى قاعة الشيخ محمد عبده ، وكان عنوانها : « الثورة اللغوية» لايتبدل فى العنوان بلفظ الثورة لفظا غيره ، من نحو الإصلاح والتقويم ، كأنما كان يحس أن أمر اللغة يوم ذاك لم يكن يصلح له أو يغنى فيه إلا الثورة فى حماستها ، واشتعال حميتها ، فهى وحدها الفيصل الحاسم والعلاج لا هوادة فيه ولا بقيا معه :

وله محاضرة أخرى عامة ، نقد فيها الدعوة إلى الحروف اللاتينية ، والأخذ بها مكان الحروف العربية ، وبين عاقبة الاستجابة لهذه الدعوة على ماضينا المجيد ، وتراثنا الثقافى العريق . وله بحث عنوانه : علاج الكتابة العربية ، الهدرة الحيرى تحدث فيه

عن الهمزة ودقة مسالكها . واضطراب صورها ، وتعدد طرائق رسمها ، وخلص من ذلك باقتراح أن ترسم على صورة الألف المهموزة فى جميع أحوالها ، وعزز اقتراحه هذا بعدد كبير من أقوال علمائنا الأولين .

وله بحوث أخرى فى النحو والنقد اللغوى منها ما نشر فى المقتطف ، ومنها ما نشر فى السياسة الأسبوعية ، ومنها ما نشر فى مجلة المجمع ؛ وله مقالات فى الأصوات واللغة نشر بعضها فى المقطم ، وبعضها فى البلاغ وبعضها فى الأهرام ، وله قصة عربية عنوانها «عطر المنصور» وقد نشرت فى مجلة الرسالة وقصة أخرى مصرية ، وعنوانها «مغفل» وقد نشرت فى مجلة الاستديو ؛

وله أحاديث فى الإذاعة ، تناولت بعض قضايا الأدب والتاريخ والأخلاق . وقدم إلى لجنة الأصول بالمجمع بحثا عن اسم المصدر وآخر عن نحو قول القائل: أنا كرئيس أرى كذا .

وأشرف على طائفة من الرسائل الجامعية فى بعض فروع اللغة .

وجاوزت شهرته العلمية حدود مصر فدعى للمحاضرة فى كل من جامعة بغداد وجامعة بنى غازى وجامعة أم درمان ، ثم جامعة الإمام محمد بن سعود فى الرياض نشاط علمى مبارك طيب ، يتناول ألوانا من الثقافة العربية ، ويدل على رحابة الأفق ، وتعدد الملكات

أما بعد ، فيأيها السادة المجمعيون . اليوم يقدم عليكم فى شخص الدكتور الشيخ محمد رفعت عالم متمكن ، وباحث محقق . وسيكون لكم منه كل ماترتجون من جهد مخلص ومشاركة جادة ، إن شاء الله تعالى : ويومئذ ترون عيانا أنكم وفقتم فى الاختيار ، وآتيتم ثقتكم عالما هو أهل لها وجد يربها :

وأنت أيها القادم الكريم ، أهلا بك ومرحبا بين زملائك من حماة العربية وأصحاب سرها فهيا إليهم ، وتبوء مكانك بينهم ، راشدا موفقا ، وراضيا مرضيا :

على النجدى ناصف
عضو المجمع

كلمة الدكتور الشيخ محمد رفعت فتح الله

أيها السيد الرئيس :

أيها السادة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

(أما بعد) فإنى أحييكم أطيب تحية ، وأقدم أجزل الشكران ثلاث تقديمات :

أشكر السيد الرئيس والسادة الأعضاء اختيارى لأكون عضوا بمجمع اللغة العربية العظيم .

وأشكر السيد العالم الأستاذ على النجدى ما أسبغه علىّ — فى تقديمى — من الكلم الطيب ، والأدب العالى .

وأشكر السادة حاضرى المجمع لحفل الاستقبال فى هذا اليوم حضورا يطيب به الاستقبال ويكتمل الاجتماع .

ولست أنسى ذكر العالم الكبير الراحل الدكتور محمود توفيق حفناوى الذى أخلفه فى مكانه بالمجمع ، وقد خلف هو الأستاذ الجليل العالم الراحل الشيخ إبراهيم حمروش فى مكانه بالمجمع من قبل ، فصار لى من شرف الذكرى مايشجعنى على القيام بالعربية فى هذا المكان .

ولد الدكتور حفناوى فى أواخر القرن الماضى سنة أربع وتسعين ، ثم عرف أول هذا القرن الحاضر طريق العلم بمدارسه حتى نال الشهادة من مدرسة الزراعة العليا سنة سبع عشرة ، ثم بعث إلى الخارج سنة إحدى وعشرين ، ونال من شهاداته مايشهد بعلمه ، ثم رجع إلى القاهرة فاختير مدرسا بمدرسة الزراعة العليا سنة أربع وعشرين ، ثم صار ناظراً لها سنة ثلاثين وتحول عميدا لكلية الزراعة لسنة خمس وثلاثين ، فكان أول عميد لهذه الكلية ، ثم صار وزيرا للزراعة سنة تسع وثلاثين ، ثم ترك الوزارة واشتغل بأعمال توافق علمه حتى اختير ليكون عضوا بالمجمع سنة اثنتين وستين ، وقد ألف كتابا فى علم النبات ومؤلفات أخرى بالعربية وغيرها ، فبقيت مؤلفاته نورا للراجعين إليها ، وكان رائدا للبحث العلمى الزراعى حتى وافته المنية سنة سبع وسبعين ، فجزاه الله عن العلم خيراً .

وإذا كان مجمع اللغة العربية قد استقبلنى مع زملائى — بما جرت به عادته من حسن

الاستقبال ، فإنى أستقبل فيه — بصفة مجمعية محبوبتى : اللغة العربية .

ومجمع اللغة العربية هو حصنها ومأمل أبنائها ، يقيها إصابة الأعاصير التى تهب من الأعجميات المتكاثرة والعاميات المتناثرة ويؤتيها المباحث فى النماء ، والمراقى فى السماء .

وقد استقبلت اللغة العربية — من قبل — فى محاضراتى بمصر والسودان والسعودية والعراق وليبيا ، وفى مقالاتى بمجلة المجمع وصحيفة الأهرام وغيرهما .

وكذلك أعلنت بالثورة اللغوية ، ليتنبه أهل اللغة العربية على ماتحتاج إليه لغتهم من التصفية والتنمية .

والسلام عليكم ورحمة الله

محمد رفعت فتح الله

عضو المجمع

•• كلمة الختام للدكتور رئيس المجمع

سيداتى ، وسادتى :

باسم أعضاء المجمع أكرر شكرى لكم جميعاً ، وأكرر تهنئتى وترحيبى بزملائنا الجدد الذين نعول عليهم وعلى إسهامهم فى نشاط المجمع ، وقد غنمنا بهم ، ونتمنى لهم حياة مجمعية حافلة بالجد والنشاط .

شكرا لكم ورفعت الجلسة .

في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ٧ من ذى الحجة ١٣٩٨ هـ (الموافق ٨ من نوفمبر ١٩٧٨ م) أقام المجمع حفل تأبين المرحوم صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ على الخفيف عضو المجمع .

وفيما يلى ماألقى من كلمات فى الحفل :

كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

فى تأبين المرحوم الأستاذ الشيخ

سيداتى ::: سادتى :::

أودع اليوم على الخفيف الأستاذ ، فقد تتلمذت له منذ نصف قرن أو يزيد . تتلمذت له فى معهد لم يقدر مع الأسف حق قدره ، ولم يترك سائراً فى طريقه بل تحزب ضده المتحزبون ، وتألب الخصوم والمعارضون ، وقضوا عليه ولما يمض على نشأته عشرون عاما ، وأعنى به مدرسة القضاء الشرعى التى أريد بها أن تجمع بين القديم والجديد ، وأن تلائم بين الماضى والحاضر ، تجمع فى تحد تام وتقدير صحيح ، وتلائم فى اختيار سليم وتوفيق حكيم ، فلا تأخذ بالقديم لمجرد أنه قديم ، وفيه ولاشك الزائف والباطل والخرافة والأسطورة ، ولا تسير وراء الجديد لبريقه ولمعانه ، وفيه قطعاً ما لاوزن له ولا قيمة ، وقد سارت مدرسة القضاء الشرعى فى هذا الطريق سيراً حثيثاً ، وخرجت جيلا من العلماء والمفكرين الذين كنا نود أن يغذى بهم العالم العربى والإسلامى دون انقطاع .

فى هذه المدرسة تتلمذت للمرحوم الخفيف فى درس لأنساه ، تتلمذت له فى علم الفرائض ، ونعمت فى درسه بالفقيه المتمكن والرياضى الدقيق . وقدر لى أن أشترك بعد زمن فى مناقشة مشروع قانون المواريث بمجلس الشيوخ ، وكان هذا الدرس خير عون لى . فى هذه المدرسة تتلمذت للمرحوم الخفيف وصادقته ، وهكذا كان شأن مدرسة القضاء فقد كان يراد بها أن تجمع بين الأساتذة والطلاب والأصدقاء ، وأى صداقة أقوى وأمتن من تلك التى

تتوثق بين رجال العلم والمعرفة طوال تسع سنين .

ورحم الله عاطف بركات الأب الأول لهذه المدرسة ، وقد خططها وأحكم التخطيط ، ومن تخطيطه أن تنشأ مدينة خاصة فى ضاحية من ضواحى القاهرة لايقيم فيها إلا طلابها وأساتذتها ، وتوفر فيها وسائل البحث والدرس ومتطلبات العيش والحياة .

سيداتى ، سادتى :

وأودع أيضا على الخفيف الزميل ، فقد نفحنا بزمالته فى هذه الدار زمنا ، ويوم أن دخلها عددناه غنما كبيراً وسنداً عظيماً حرص ماوسعه على أن يشترك فى بعض لجاننا ، وأن يتابع جلسات مجلسنا ، ولم يتخلف قط إلا لعذر قاهر ، أعطى لجاننا فى سخاء ، وله علمه الفياض وذوقه السليم ، وحكمه الدقيق وأثار مجلسنا بآرائه الصائبة وتوجيهاته السديدة . لم يعرف الإسراف قط ، لافى القول ولافى العمل ، وقد عنى بالمصطلح الفقهى ، وعقد له لجنة فرعية خاصة ، وأقر فيه ماأقر ، ووفاء لذكراه آمل أن نخرج ماأقره إلى النور لاسيما وهو تراث يخشى عليه الضياع .

وأودع أخيراً على الخفيف الفقيه والمشرع ، تمكن من الفقه الإسلامى تمكنا لا يجاريه فيه كثير من معاصريه ، حذقه فى بصر وبصيرة ومارسه علماً وعملا ، وضم إليه قدراً غير قليل من علوم القانون ؛ فتوفرت له أسباب الاجتهاد والفتوى ، وكان يؤمن بأن التشريع أينما وجد ليسد حاجة ، ويعين على تنظيم المجتمع ، وتدبير شئونه ، وليس فى تعاليم الإسلام مايعارض النهوض الصحيح والتقدم السليم ، ومن الخزى أن نعيش عالة على من سبقونا ، وأن نحرم أنفسنا من حق التفكير والتعديل والتصحيح . وأذكر أنى تحدثت إليه مرة فى شأن الحركة الرابعة التى ترمى إلى إحلال الفقه محل القوانين الوضعية ، وكان يرى أنها حركة قليلة الجدوى وصعبة التنفيذ ، وفى رأيه أنه إن كان ولابد فلننظر فى القوانين الوضعية الحالية وبخاصة القوانين المدنية ، فإن كان فيها ما يعارض مبادئ الإسلام الثابتة رفضناه أو عدلناه ، أما أن نهدم فى غير بناء فهذا جهد ضائع لاطائل تحته ، ومن أشد ماآسف له أن مجمع البحوث الإسلامية — وفيه المرحوم على الخفيف وأمثاله — كان فى وسعه أن يواجه مشاكل الساعة ، وأن يحلها حلا إسلامياً عصرياً ، فيخدم الإسلام والمسلمين ، ولكنه لم يواجه ذلك مواجهة صادقة .

وأودع أخيراً على الخفيف الفقيه والمشرع ، رحم الله الأستاذ على الخفيف ونفحه برحمته ورضوانه .

•• كلمة الدكتور أحمد الحوفى

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدى الرئيس

سادتى :

كان من الواجب الشاق على نفسى أن أنوب عن مجمع اللغة العربية فى رثاء علم من أعلامه هو أستاذ الأساتذة المغفور له الشيخ على الخفيف .

ولاأخفى عليكم أننى تهيبت فى أول الأمر رثاءه ، لأننى أحببته وأحبنى ، ولأننى أعلم علاء قدره وعظمة آثاره فى أجيال متعاقبة وقد يبدو عند النظرة الأولى أن الحب المتبادل وأن عظمة المرثى كفيلان بسهولة رثائه ، ولكن الحق غير ذلك ، لأن مشاعر الأسى المنبعثة عن محبة من شأنها أن تهز النفس هزاً وتملأ القلب وجداً ، فيعجز اللسان عن التعبير أيما عجز ، ثم لأن عظمة المرثى وضخامة تأثيره توحى بالرهبة والتهيب والمعجزة .

ولكن الظروف اقتضت أن أرثيه بما أستطيع من كلمات موجزات .

وإذا كنا قد اعتدنا فى كثير من المراثى وهى نهاية الأحياء أن نفتحها ببداية حياتهم ، فإن فقيدنا ولد بقرية الشهداء إحدى قرى محافظة المنوفية سنة ١٨٩١م ، وبعد أن حفظ القرآن الكريم بكتاب القرية كما كان يفعل عشرات الآلاف من أبناء جيله درس فى الأزهر من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩٠٦ ، ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعى سنة ١٩٠٧ وتخرج فيها سنة ١٩١٥ ، وعين بعد تخرجه فى العام نفسه مدرسا بالمدرسة نفسها إلى سنة ١٩٢١ .

وفى تلك السنة نقل إلى وظيفة قاض بالمحاكم الشرعية ، وبقى فى منصب القضاء ثمانى سنوات ثم عين محاميا شرعيا بوزارة الأوقاف ، ثم مديراً للمساجد بها إلى سنة ١٩٣٩م .

وفى هذا العام نفسه عين أستاذاً مساعداً للشريعة الإسلامية بكلية حقوق القاهرة ، وارتقى إلى وظيفة أستاذ سنة ١٩٤٤ ، ومازال فى وظيفة أستاذ إلى أن بلغ سن التقاعد سنة ١٩٥١ م لكن كلية الحقوق حرصت على الانتفاع بعلمه وبتجاربه ، فندبته ليدرس لطلاب الدراسات العليا إلى قبيل وفاته .

سادتى :

لقد كان من الدلائل على فضل المغفور له الشيخ على الخفيف أن كثيراً من المعاهد تنافست فى الانتفاع بعلمه ، فقد عينه معهد الدراسات العربية العالية سنة ١٩٥٣ أستاذاً غير متفرغ ، ثم أستاذاً متفرغاً إلى قبيل موته

وعينته الدولة عضواً بمجمع البحوث الإسلامية منذ سنة ١٩٦٢

وعينه المجلس الأعلى للأزهر عضواً به منذ سنة ١٩٦٧ .

وندبته جامعة بغداد أستاذاً زائراً سنة ١٩٦٨ ، وكذلك ندبته جامعة الخرطوم .

وهو إلى هذا كله عضو بارز فى لجنة موسوعة الفقه الإسلامى بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وفى لجنة وضع مشروع قانون الأحوال الشخصية ، وعضو له قدره فى مجمع اللغة العربية .

سادتى :

لقد كان للمرحوم الشيخ على الخفيف صوته المسموع فى كلية الحقوق مدوياً بعظمة الشريعة الإسلامية ، لأنه رحمه الله أحسن الانتفاع بالتراث النفيس الذى خلفه أسلافنا من الفقهاء الأجلاء ، فتفمهه وأحسن عرضه وتهذيبه وتنظيمه وتبويبه ، فى أسلوب عصرى سهل شائق يجارى المنطق ، ويسامى القانون الحديث . وكان له ميدان آخر جلى فيه هو الموازنة بين ما يردده علماء القانون من نظريات فى موضوعات عدة وبين ما سبق إليه علماء الشريعة الإسلامية من آراء فى هذه الموضوعات نفسها ، ومن فتاوى عريقة تتسم بالذكاء والحصافة والصواب ، ومعنى هذا أن فقيدنا عليه رحمة الله كان من الأفذاذ الذين نبهوا الأذهان إلى سمو تشريعنا ، وإلى فضل علمائنا ، وإلى أصالة فقهائنا ، حتى لا تبهرنا نظريات الغرب وأراء الغرب وبحوث الغرب ، وحتى نستطيع إبطال دعاوى بعض الذين ينكرون فضلنا ويعزون السبق كله إلى علمائهم .

ولم يكن موقف المرحوم الشيخ على الخفيف منبعثا عن تعصب بل كان إذعاناً للحق الذى يجب أن يسود ويجب أن يقود .

سادتى :

ترك فقيدنا اثنى عشر مؤلفاً هى :

١ ــ الخلافة

٢ ــ أحكام الوصية

٣ ــ أحكام المعاملات الشرعية .

٤ ــ الشركات فى الفقه الإسلامى :

٥ ــ أسباب اختلاف الفقهاء .

٦ ــ نظرية النيابة عن الغير :

٧ ــ فرق الزواج .

٨ ــ الحق والذمة .

٩ ــ البيع فى الكتاب والسنة .

١٠ ــ الشركة والحقوق المتعلقة بها .

١١ ــ الملكية فى الشريعة الإسلامية .

١٢ ــ الإرادة المنفردة فى الفقه الإسلامى.

وله بحوث كثيرة نشرتها بعض المجلات ولاسيما مجلة القانون والاقتصاد التى يصدرها أساتذة الحقوق بجامعة القاهرة ، منها :

١ ــ التأمين فى الشريعة الإسلامية :

٢ ــ تأثير الموت فى الالتزام .

٣ ــ الاستصحاب .

٤ ــ تأثير الموت فى الحقوق : (ح) استيلاء طبعت الجزء الثامن

٥ ــ رعاية المصلحة الشرعية . (ط) استناد طبعت الجزء الثامن

٦ ــ المنافع فى الشريعة الإسلامية ، (ى) إسلام طبعت الجزء التاسع

٧ ــ الوقف الأهلى وأسانيده فى الشريعة. (ك) دين طبعت النموذج

وله بحوث فى موسوعة الفقه الإسلامى ، (ل) إقطاع لم تطبع

منها : (م) التزام (إلزام) لم تطبع

(ا) إجارة طبعت الجزء الثانى (ن) انقراض لم تطبع

(ب) ادعاء طبعت الجزء الرابع (س) إيمان لم تطبع

(ج) إذن طبعت الجزء الرابع (ع) أمير وإمارة لم تطبع

(د) ارتفاق طبعت الجزء الرابع (ف) اقتصار لم تطبع

(هـ) أرش طبعت الجزء الخامس (ص) اعتقال لم تطبع

(و) إستبدال طبعت الجزء الرابع (ق) اعتصار لم تطبع

(ز) استنابة(إنابة) طبعت الجزء الثامن (ر) أهل الحل والعقد لم تطبع

مثالان من آرائه

المثال الأول ــ الملكية

الملكية موضوع محاضرات ألقاها بالمعهد العالى للبحوث والدراسات العربية ، تناول فيها الملكية ، فعنى بتأصيل حق الملكية فى الشريعة الإسلامية ، وبين أن الأموال كلها ملك لله تعالى ، ودلل على هذه الفكرة بآيات كثيرة من القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شئ قدير[1] ، ووضح أن للإنسان حق التملك ، ولكن تملكه اختصاصٌ يتيح له الانتفاع بما يملكه مع مراعاة المصلحة العامة للمجتمع .

وقد فرض الشرع على هذا المالك عدة تكاليف وواجبات تحقق مايصح أن نسميه بالاشتراكية السليمة التى تتفق وطبائع البشر ، وتحقق الخير لهم .

وجعل الشرع لولى الأمر الحق فى مراقبة تصرفات المالك مراقبة قائمة على أوامر الدين ونواهيه ، أى أن ولى الأمر يراقب المالك

---

(١) سورة المائدة ١٢٠

فى وسائل استغلاله لما يمتلكه ، وفى طرائق انتفاعه بما يملكه ، ليردعه عن البخل والجشع والأنانية وسوء الاستغلال ، وليرده إلى الطريق السوى السليم :

ثم وازن الأستاذ بين هذا النظام السامى الذى شرعه الإسلام وبين المذاهب الأجنبية المستحدثة التى يغالى بعضها فى حماية الفرد وكفالة حريته الكاملة فيما يمتلك ، ويغالى بعضها فى تقييد هذا الحق حتى يصل التقييد إلى القضاء على حق الملكية وإهداره .

المثال الثانى ـ التامين

فى بحثه الذى موضوعه التأمين فى الشريعة الإسلامية ، عرف نظرية التأمين ، وأساسها وأنواع التأمين ، وخصائص عقده ، وأساس الإلزام فيه ، وقيامه على الضمان نظير أجر أو قيامه على التعاون . وبسط آراء الذين حرموه ، مستندين إلى مافيه من شبهة الغرر ، والربا ، والقمار ، والغبن . ثم بسط آراء الذين أباحوه ، ووضح حججهم وردودهم على خصميه .

وانتهى إلى الإفتاء بجواز التأمين فى بعض أنواعه ، دون أن تكون فيه أية شبهة ، مثل التأمين التعاونى الاجتماعى الذى يقوم به وبأقساطه المستأمنون أنفسهم بعضهم ببعض ، ومثل التأمين الاجتماعى الذى تقوم به الحكومة خدمة للمرضى والعجزة والمحالين إلى التقاعد . ثم فصل المقال فى التأمين ضد الحوادث وضد المسؤولية ، وقال : إن الغرر فيه يسير لا يحول دون صحته ، وإنه لاينطوى على مقامرة ، ولا على مراهنة ، ولاعلى جهالة أو غبن ، لأن أساسه الضمان نظير جعل يدفعه المستأمن ، وبين مافى هذا الضرب من التأمين من مصالح اجتماعية تدعو إلى جوازه رعاية للمصلحة :

وعرض للتأمين على الحياة فوضح أنه إذا كان مصحوباً بالعزم على الادخار وتنمية المال أو الربح والفائدة فإنه يعد من قبيل المضاربة الشرعية ، لأنه عمل فى مال الغير باستثماره ، والربح فيه يقسم بين صاحب المال والعامل على مقتضى ما يظهر من ربح :

أما إذا قام على فائدة معينة محددة فإن هذا يبعده عن المضاربة ، لأن اشتراط ربح معين فى المضاربة يفسدها ، إذ أنه قد يؤدى أحياناً إلى عدم اشتراك الطرف الآخر فى الربح الناتج :

وأفاض فى بيان أن الخسارة مستبعدة عملا لأن هذا النوع من التجارب يقوم على قواعد اقتصادية ويكفل ربحاً يزيد على الفائدة المحددة لصاحب المال ، وهذا يحقق اشتراك الطرفين فى الربح دائماً . لهذا رأى فضيلة المغفور له الشيخ على الخفيف جواز هذا النوع من التأمين أيضاً بمقتضى العرف ، وبمقتضى جواز التعاقد فى الإسلام على الوضع الذى تتطلبه الحاجة دون اشتراط صورة معينة للعقد .

وانتهى إلى أن عقد التأمين عقد جديد جائز شرعا ، لخلوه من المحظورات الشرعية :

سادتى :

لا يستطيع الذى يقرأ بحوث الفقيد إلا أن يشيد بمقدرته وألمعيته وسعة اطلاعه وثاقب ذكائه وبشوقه إلى تطوير التشريع الإسلامى تطويرا لا ينحرف به عن جادته ، ليحقق مصالح الناس ، ولينهض بما يناط به من إصلاح :

لهذا كان كلفا بإبراز خصائص الشريعة الإسلامية ، ودؤوباً على التنويه بمرونتها وطواعيتها وتقبلها للتطور ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

ومعنى هذا أنه كان — رحمه الله — من أنصار الاجتهاد، ومن الدعاة إلى افتتاح أبوابه والأخذ به ، ما دام قائماً على الاهتداء بكتاب الله وبسنة رسوله وبما يؤدى إليه القياس الصحيح .

جمع فى عقله الواعى جوهر عشرات من كتب الشريعة موجزة مركزة ، معتزاً بلبابها ، متغاضياً عما بها من أوهام وافتراضات واحتمالات ، فكان يفتى فى أية مسألة فتوى الفقيه الحصيف الخبير الذى لا يعقب عليه أحد :

سادتى :

يشاء الله سبحانه وتعالى لبعض العلماء أن يصوغوا رجالا يخلفونهم وأن يصنعوا علماء يرثونهم ويذيعون فضلهم ، وقد كان من حظ أستاذنا الشيخ على الخفيف أن يكون كذلك : فإنه حينما تخرج فى مدرسة القضاء الشرعى وعين بها مدرسا درس لكثير من زملائه ، ثم درس لطبقات شتى فى كليات ومعاهد مختلفة ، وأكرمه الله تعالى فمد عمره حتى رأى أبناءه أساتذة وفقهاء ، وشاهد أحفاده أساتذة وعلماء ، وأدرك أبناء أحفاده مشرعين ، وهم جميعا يدينون له بالأستاذية ، ويتحدثون بفضله ، ويثنون على علمه وخلقه.

وهذه درجة علمية لها طابعها المتفرد الذى لا يشاركه طابع وميزة يندر أن تتحقق إلا لقليل من الأفذاذ .

وكان من نعم الله عليه أنه كان جليلا فى كل مكان عمل به ، فهو فى مجمع البحوث الإسلامية ينبوع دفاق ، وفى موسوعة الفقه الإسلامى سحاب غيداق ، وفى مدرسة القضاء الشرعى وكليات الحقوق والشريعة علم خفاق ، وفى مجمع اللغة العربية عالم مرموق ، وفى تطوير التشريع الإسلامى وتيسيره رائد سباق :

كان المغفور له الشيخ على الخفيف حلو المجلس ، عذب العشرة ، لطيف الحديث ، رقيق الصوت يحرص على الاستماع أكثر مما يحرص على المقال ، ويصغى إلى الآراء المتشابكة فى يقظة وإدراك ، ثم يتخير أصوبها ويدلل على صحته .

يرحمه الله رحمة واسعة ، جزاء له على ماقدم للإسلام وللمسلمين :

احمد الحوفى

عضو المجمع

كلمة الأسرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سادتى الأجلاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبدأ فأشكركم ، على ماأتحتم لى من فرصة لأشارك فى هذه المناسبة من التكريم الوفى النبيل ، لفقيدنا ، فقيد الإسلام ، والدنا الشيخ على الخنيف رحمه الله وجعل الجنة مثواه .

وأعود فأقول ، إنى لأجد نفسى فى موقف بالغ الحرج ، فأنا إذ أقف أمام هذه الصفوة المختارة ، من كل قمة فى العلم والأدب والفضل ، أحس بضعف يكاد يعجزنى عن الكلام . هذه واحدة : وأنا إذ أحاول أن أتحدث عن مناقب الشيخ يرحمه الله ، وأنا بضعة منه ، أرانى كمن يمدح نفسه ، ولست أحب أن أضع نفسى هذا الموضع : وهذه أخرى .

غير أنى لاأجد بنفسى ، حاجة للحديث عن مناقب الشيخ ، وكلكم كان على صلة به مشاركا له ، متفاعلا معه ، بحيث يغلب على ظنى ، أنكم كنتم أعرف به منى ، فى كثير من جوانب الفكر والعقيدة والحياة . فلست أخال أحدا منكم ، لم يكن يعلم كيف كان رحمه الله — إلى آخر عمره — مكبا على العلم منتفعا به نافعا به الناس ، وكم كان إيمانه بالحق عميقا ، وإيمانه بالخلق القويم عميقا وكم كان اقتناعه بأن الدين منهج للحياة جميعا ، وكم كان يجتهد فى مواءمة ذلك كله ، مع مقتضيات التقدم وسنة التطور . ولعل من أبرز ماكنت ألحظه فيه أنه كان حريصا كل الحرص على أن يبعد عن الفكر خاصاً وعاماً أن بالدين جموداً عن مسايرة التطور ، أو قصوراً عن استيعاب أنشطة العصر الحديث هذا مع التزام لايحيد قيد أنملة عن مبادئ الشريعة والفقه الحنيف .

وما أشد وأضنى مايتعرض له كل من يسعى إلى تلك الغاية ، وهو يحمل بين إحدى يديه ، كتاب الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وفى يده الأخرى منار العقل والاجتهاد يهتك به حجب التزمت والانغلاق والجمود .

أعلم أننى بعيد عن أن أعتبر حجة فى هذا المجال ، إلا أنه رحمه الله ، كان كثيرا مايطلعنى على منهجى البحث والتثبت ، مما يجعلنى أشهد الله ، على أنه كان يرعى الله حق رعايته ، فى دراساته وأحكامه وفتاواه :

سادتى الأفاضل :

أرانى قد استطردت إلى مالم أكن أحب أن أستطرد إليه ، فأعود أقول إنكم بادى الرأى أعلم بهذا الذى قلت ، وغيره الكثير ، وليس منكم إلا من له فيه سهم أو نصيب

بيد أن من جوانب حياة الشيخ ، جانب لى فيه قدح لاأنازع فيه ، أعنى جانب حياته فى بيته ، وعلاقته بأسرته وبنيه ، وأرجو أن يتسع صدركم ووقتكم لكلمتين فى هذا المجال :

كنا ندعوه فيما بيننا وفى غيبته وحضوره ، بالشيخ ، هكذا مجرداً ، وقد حدثتنى جدتى عليها رحمة الله ، أنهم كانوا يدعونه بالشيخ حتى وهو مازال حدثا يحفظ القرآن .

وكانت بالشيخ كراهة جذرية متأصلة للكذب ، كأنما خلقه الله كذلك ، بينه وبين الكذب عداء . وكانت تواكب هذه الخلة فيه وتتكامل معها ، خلة الحياد ، فكان لاينحاز إلى جانب دون جانب إلا ودليله الحق ، كان كذلك حتى على نفسه وأقرب مقربيه ، وكان منطقياً واضحاً سهلا ميسراً ، دون تزمت ولاتعقيد ، أضف إلى ذلك شخصية نافذة محببة فى غير تنفير تكتمل لك صورة لجوهره عليه رحمة الله ، لذلك كان إذا بدأ فى محيط الأسرة خلاف ، كان منتهى أمره أن يرفع إليه ، فقد كان الخلاف يذوب فى حضرته حتى قبل أن يقضى فيه قضاء .

وكان فى تنشئته لنا ، ينحو منحى جذبنا إلى قدرته ، مبتعداً أكثر الوقت عن الأمر والنهى والترهيب ، أذكر وأنا طفل فى أول مراحل التعليم ، أنه كان يدفع إلى بالمصحف لأتابعه وأراجعه وأصوبه وهو يقرأ القرآن وكان ذلك يشبع فى نفسى زهواً ، مما جعل آصرة من الحب تنعقد بينى وبين كتاب الله ، نعمة مازال الله يسبغها على حتى الآن ، وأرجو أن يكون ذلك حتى آخر العمر إن شاء لله .

كان إذا قام إلى صلاة الصبح ونحن نيام رفع صوته بالقراءة ، حتى نحس أن مايفعله واجب لاتحسن معه المداراة ، حتى تعودنا أن نصحو فنشاركه الصلاة :

هذا مثل أو مثلان أردت بهما أن أوضح جانباً من شخصيته ، غير أنى أمنع نفسى من أن أستفيض ، لأنى أشعر أنى تطفلت على وقتكم فأخذت منه الكثير ، وأخشى كذلك أن أتهم بالتشيع لأب تشبعت به نفسى إعجاباً وتقديراً ، ولكنى أصدقكم القول ، أنه إذا لم يكن والدى ، لما كان حبى له وإشادتى بفضله أقل من ذلك فى كثير أو قليل ، ولعل تلاميذه وعارفى فضله يزكون ماأقول ، ويحسون بمثل ماأحس به من حب وإعزاز وتبجيل .

سادتى الأفاضل :

يبقى أن أشكركم بالأصالة عن نفسى و بالنيابة عن الأسرة ، شكراً خالصاً لكم ولكل من وفى الشيخ حقه من الذكر الحسن والتقييم الجميل .

لكم سادتى الأفاضل ، ولأبناء هذه الأمة الوفية ، أتقدم بشكر وامتنان لاينهضان بما طوقنا به الجميع من عزاء وتكريم :

« من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر . ومابدلوا تبديلا » . صدق الله العظيم .

•• كلمة الختام للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

باسم أعضاء المجمع وباسمى نشكر للسادة الحاضرين مشاركتهم لنا هذه الجلسة فلم يكن الفقيد فقيد المجمع فحسب ، ولكنه كان فقيد العلم أيا كان موقعه ، ولأسرة الفقيد خالص عزائنا وشكراً لكم جميعا ،

ورفعت الجلسة •

في الساعة الحادية عشرة من صباح الأربعاء ١٩ من جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ (الموافق ١٦ من مايو ١٩٧٩ م) أقام المجمع حفل تأبين المرحوم الاستاذ عباس حسن عضو المجمع .

وفيما يلي ما ألقي في الحفل من كلمات :

كلمة الافتتاح للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

في تابين المرحوم الأستاذ : عباس حسن

سيداتي ، سادتي :

نلتقي اليوم لنودع شيخا من شيوخ هذه الدار ، اختطف منا على عجل ، ورحل عنا على غرة فحرمنا من صوت جهير قل أن تمر جلسة دون أن نسمعه ، ولقد كان عباس حسن رحمه الله وفياً كل الوفاء لمجمعه ، لم يتخلف عن جلسة من جلساته ، ولا عن لجنة هو عضو فيها ، إلا لضرورة قاهرة ، وبلغ به الوفاء أنه كان يحضر أحياناً متوهما عملا فلا يجده. ولاأشك في أن المجمع كان أيضاً شغله الشاغل في داره وخلوته ، يراجع المحاضر والتقارير ، ويعد للجلسات المقبلة في المجلس واللجان . يحقق موضوعات أثيرت ، ويمحص أفكاراً عرضت ، ولا يتردد في أن يستأنف الحديث فيما أثير من قبل ، ولا في أن يطلب إعادة النظر فيما سبق أن بت فيه .

وماذاك إلا لأنه كان وفياً للغته الوفاء كله ، نصب نفسه حارساً لها وحامياً من حماتها ، وما أشق الحراس ، وما أقسى مهمة الحماة ؛ يعارضون ويعترضون ، يناقضون ، ويصححون ، وكلنا نذكر ماكان لفقيدنا من أخذ وردّ مع زملائه . اضطلع بواجب حماية اللغة في حزم وعزم ، بل في عنف أحياناً ، وتسلح لذلك بكل ماتوفر له من علم ومعرفة :

فوقف بالمرصاد لكل شاردة وواردة ، يصحح ما يصحح ، ويرفض ما يرفض ، ويطالب بالأصل والسند ، وكانت أسانيده

حاضرة دائماً ، ومراجعه مرقمة غالباً ، يعنى بالمبدأ والقاعدة ولا يبيح الخروج عليهما.

ولا غرابة ، فقد كان نحوياً ، ونحوياً إماماً مستظهراً للقواعد النحوية استظهاراً تاماً ، وربما طغى نحوه على ثقافته كلها .

يستمسك بالقياس ، ولا يفسح المجال للسماع ومع هذا سلَّم بكثير من أوجه التجديد والإصلاح .

وكيفما كانت معارضته ، فإنه أدى مهمة الحارس الأمين خير أداء ، وما كان يتردد فى أن يدق ناقوسه إن رأى خطراً أو توهمه . تغمده الله برحمته ، وجزاه خير الجزاء عما قدم للغته وأمته .

كلمة الأستاذ على النجدى ناصف

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة الرئيس ، أيها السادة والسيدات :

كانت لى بفقيدنا العزيز ، الأستاذ عباس حسن — صحبة فاضلة ، مكن الله لها ونسأ فى عمرها حتى أوفت على الأربعين ، لكنها على تمكنها ، وطول أمدها — لم تلبث أن طارت شعاعاً حين نعاه الناعى إلى ، فكان مثلى ومثله — كما كان متمم بن نويرة وأخوه مالك إذ يقول فى رثائه :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل : لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

نعم ، طارت صحبتنا شعاعا ، ولا سبيل إلى ردها ، أو وصل أسبابها .

وأنى لها أن ترد ، ولأسبابها أن توصل ، وقد طفئت الشعلة ، ونضب المعين ؟ ولله الأمر من قبل ومن بعد ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وإنى إذ أقف الآن لأؤبنه ، وأتحدث عنه — إنما أقف لأنشر صفحة من الذكرى فى جانب ، وأطوى صفحة من العمر فى جانب آخر ، وهل المرء فى حياته ، وتقلب الأحوال به — إلا كتاب مطوى من تجاربه الواعية ، وذكرياته الباقية ، ومشاعره النابضة ؟ تتنزل عليه وحياً ، أو تسرى إليه انسيابا ، يتلقاها مدداً متصلا من عبر الأيام وصلة الأرحام وصحبة الأصدقاء والقرناء تتلاقى فى وجدانه ، وتتشارك فى صنعه وتلوين شخصيته .

ومن الخير له ، أن ترفق الأقدار به فلا تملى له ليحيا بعد خلصائه ، يودعهم ، ويشهد رحيلهم عنـــه ، راحلا فى إثر راحل فيسلمه التعس وسوء المآل ، إلى أثقال من الهموم والآلام ، تحل به ، وماتزال تعركه وتعتصر رسيس الحياة فيه ، ثم تتركه خلقا مضعضعاً ، وكياناً خاوياً ، لا يستطيب للحياة طعماً ، ولا يستشعر فيها أنساً . والناس من حوله : مابين راث له ، ومشفق عليه ومترخص فيه .

سيادة الرئيس ، أيها السادة والسيدات .

الآن أصير إلى حياة الفقيد — أحسن الله إليه —

أتحدث عنها من مستهلها ، وأمضى معه فيها مرحلة بعد مرحلة ، إلى أن لقى ربه فى جنات النعيم .

كان مولد الفقيد — أفاض الله عليه من رضوانه عام ألف وتسعمائة ، فى مدينة منوف ، وكان والده — يرحمه الله — يمارس أعمال التجارة فيها ، ثم بدا له أن يرحل إلى القاهرة ويتخذ منها مجالا لنشاطه التجارى . وكان الفقيد يومئذ لا يزال طفلا ، فحمل إلى قرية سروهيت من أعمال مركز منوف ، وهى منشأ أسرته ومقرها الأول . فكفله خاله ، ونشأه فى كنفه وعلى عينه ، وكان — رحمه الله — من علماء الأزهر الشريف .

ولما أن قوى عوده ، وبدت مخايله ، بعث به خاله إلى كتاب القرية ، يتعلم فيه مبادىء القراءة والكتابة ، ويحفظ القرآن الكريم حتى إذا بلغ من ذلك أربه ذهب به خاله إلى الأزهر ، فدرس فيه مقررات من علوم الدين واللغة .

وكانت دار العلوم فى ذلك العصر منية جمهور الطلاب فى الأزهر ، يستبقون إليها فى امتحان يؤهل النجاح فيه للقبول بها ، بعد أن تختار المدرسة حاجتها من جموع الناجحين فطمح الفقيد إليها مع الطامحين ، ولعله كان يقتدى فى ذلك أيضا بابن خاله : المرحوم الأستاذ أحمد على عباس ، من قدامى خريجى دار العلوم ، ومن كبار مفتشى وزارة المعارف .

وهكذا تهيأت للفقيد إبان نشأته بيئة علمية متخصصة ، يندر أن يتهيأ مثلها لناشىء فى الريف إذ ذاك . ولمثل هذه البيئة مالها من الأثر الحميد فى تنبيه الذهن ، وتوجيه النظر إلى الأمور ، وإلى طريقة التمييز بينها وصحة الحكم عليها .

وظفر الفقيد بأمنيته ، فلحق بدار العلوم وكان فى رحلة الدراسة فيها من طلابها المتفوقين فجعل يتنقل فى صفوفها تباعاً ، صفاً بعد صف . وحبب إليه أن يتضلع من متن اللغة ، فأقبل على مختار الصحاح ، يعنى نفسه بحفظه . وأعتقد أنه لم يرجع فى هذا إلى ابن خاله ، ولا أنه كان يصدر فيه عن نصح منه . وما أحسب إلا أنه لو علم لدله على الأدب فى لبابه المأثور ، من المنثور والمنظوم ، ينهل منه مايشاء حتى يتضلع ريا . فما كان لمثله أن يغيب عنه أن اللغة فى الأدب حية عاملة ، وهى فى المعاجم ذخر مدخر ، يرجع إليه كلما عرضت حاجة إلى التثبت أو الإهتداء إلى الوجه السديد .

وراودته نفسه أن يقرض الشعر ، فراح يعالج نظمه ، وكنت أود لو وقفت على نموذج منه لأقول فيه كما أقول فى آثاره الأخرى من اللغه والأدب . ومبلغ ظنى أن ملكة الشعر عنده لم تكن أصيلة ولا راسخة ، ولأمر ما لم تلازمه ، ولا مالت به إلى الأدب ، ولا أمسكت

للشعر منه بنصيب مأثور وليس الفقيد فى هذا وحيداً ، فما هو إلا طائف عارض من خارج النفس يوشك أن يكون دولة بين الطلاب جميعا ، ولا سيما طلاب الآداب ، يلم بهم إبان الفتوة إذ العاطفة غالبة ، والحيوية دافقة ، والحياة فى تصورهم أمانى وأحلام ، وأشواق .

ولاحت له فرصة البعثة إلى انجلترا ، فتقدم إلى الامتحان الذى يؤهل لها ، مع المتقدمين وكان فى اللغة الإنجليزية ، لكن الامتحان جاء فوق ما يعرفه منها فأفلتت البعثة منه .

وبدأ حياته فى التعليم مدرساً بمدرسة الناصرية الابتدائية ثم فى بعض المدارس الثانوية فى القاهرة . ثم عرضت لدار العلوم حاجة إلى مدرسين اثنين ، فكان الفقيد أحدهما للنحو وكان الآخر هو المرحوم الأستاذ على الجندى للبلاغة . وكنت سبقته إلى دار العلوم مدرساً كما سبقته إليها من قبل طالباً ومتخرجا . وفى دار العلوم تعارفنا واصطحبنا ، وجاء الفقيد إلينا أول ما جاء ، فزادت جماعتنا به عضواً لكنه كان عضواً من طراز متميز . كان فيه شغف بالبحث ، ونزوع إلى التحدى والحوار فيه . فلما أن استقر به المقام بيننا ، وذهب عنه دهش القدوم علينا ، ونشأت له صحبة فينا جعل يطرح علينا من حين إلى حين مسألة من النحو أو اللغة ، يقول : إن له فيها رأياً غير المعروف ، أو مأخذا يجعله منها فى ريب ، فيبدأ الحوار هادئاً رفيقاً ، لكن الفقيد لا يزال ينفخ فيه ، ويذكى من جذوته بما عنده من التحدى والمناجزة ، حتى تعلو الأصوات وتصطرع البينات وفاقا وخلافا ، اشتباكا وافتراقاً ، يعززها تلويح الأيدى وانفعال الملامح .

وربما دفع به الإصرار إلى الموقف الصعب تنوشه فيه الحجج ، وتلاحقه المآخذ فى كل مذهب ، لكنه يتلبث فى موقفه ، وما يزال يحاول ويطاول ، ولا يعدم أن تعرض له فكرة سانحة فيسرع إليها ، أو يلوح له وجه من بعيد فينطلق إليه . وبينما الجمع فى غمرتهم ساهون ، لا يلقون بالا لغير ما هم فيه من شأن إذا جرس المحاضرات يدعو إلى المدرجات فينفض الجمع ولا يزال للحوار بقية ، ولكن لا يؤقت لها ميعاد معلوم . وإذا كان الغد ، أو يوم آخر يتلوه — وقد تهيأت فيه جلسة جامعة — أعاد عرض المسألة ، ودعا إلى القول فيها ، بعد ما يكون أعد لها ، وأوسعها بحثاً وتمحيصاً فتعود الملحمة جذعة ، فيها قوة ، وحماسة وانفعال .

ولم يمض وقت طويل ، حتى ألفنا هذا الأسلوب من البحث ، ورضينا عنه ، بل ربما افتقدناه على نحو ما إذا طال ارتقابناله . وشاء الله ألا يذهب الوقت الذى نقضيه فيه لغوا ولا الجهد الذى نبذله له هباء ، فربما نبه من غفلة ، أو أوضح من إبهام ، أو قوم من رأى أو عدل من فهم ، ثم علت بى السن . وآن لى

أن أخلد إلى التقاعد ، فتركت الباقين من الجمع ، ولحقت بالسابقين من المتقاعدين : ومن هنا كان فراقى للفقيد ، لكنه فراق العودة المرجاة ، وليس كاليوم فراق الأبد الذى لالقاء بعده إلى يوم الدين : ولم يلبث بعد إلا قليلا ، ثم أخلد هو أيضاً إلى التقاعد ولكل بداية نهاية ، وسبحان من تفرد وحده بالبقاء :

ثم قدر له أن يسبقنى إلى شرف العضوية فى المجمع الموقر : وما هى إلا أعوام قليلة حتى حظيت بمثل ما حظى به من شرف : فرجعنا إلى ما كنا فيه ، عودا على بدء : وقد رأيته هنا كما عهدته هناك ، ينشط للحوار ولا يضيق به وإن طال ، إلا قليلا من تؤدة الشيخوخة وفتور الحماسة رأيته ينتحى مكانا قصياً فى الجانب الغربى من هذه القاعة ، كأنه الديدبان اليقظان فى مرقبته ، لا تأخذه غفلة أو نمسه فتور . أو كأنه الصيرفى الحاذق ، يرد الزيوف ، ويقبل الجياد :

فما من مصطلح يعرض فى المجلس إلا تلقاه بالنقد والتمحيص لفظاً وأسلوباً ، فإن كان صالحا سكت عنه ، ولم يعترض سبيله ، وإن بدا له فيه مأخذ أمسك به ، وجهر برأيه فيه فإما موافقة عليه وإقرار له كما يراه ، وإما حوار ومحاجة تطول أو تقصر حتى ينجلى الرأى ، لا حجاب دونه ولا خلاف عليه ولا وجه لتمادى الحوار فيه . وربما رأى رأيا فى جلسة من جلسات اللجان ، ثم بدا له بداء فيه حين يعرض أمره على المجلس أو المؤتمر فلا يتحرج أن يجهر بما جد له فيه ، أداء للأمانة ، وإبراء للذمة .

وما أكثر ما كان يذكر اسمه فى المجلس مدعواً إلى القول ، أو يسمع صوته قائلا يعترض ، أو معقبا ينقد ويحتج . وما أعرف من السادة المجمعيين الذين شرفت بزمالتهم من كان أكثر منه حديثا فى المجلس ، ولا أكثر منه ذكراً فى محاضر جلساته :

سيادة الرئيس ، أيها السادة والسيدات :

لقد كان الفقيد فى صحبته رجل صدق يركن إليه ، ويوثق به كان لا يضن على الصديق بعون ، ولا يقتصد فيما له عليه من حق ، ما وجد إلى ذلك سبيلا ، فى زمان يرى فيه من لا يعرف الصديق إلا وهو ناعم بالا من الأمن والسلامة ، أما إذا نبا به دهر ، أو عثر حظ ، فلا يرى منقصة أن يتخلى عنه ، بل أن يتنكر له :

حدثنى صديق ممن اصطفاهم الله لجواره أنه احتاج يوما إلى فضل من مال ينجز به عملا فيه له خير وسعة ، وأنه أفضى بحاجته هذه إلى الفقيد رحمه الله ، فما اعتذر ولا تردد ولكن بادر فأعطى شهما كريما ، ويقول الصديق : إنه علم بعد أن ما أعطاه الفقيد لم يكن فضلا مكنوزاً ، بل رصداً أعده لطالب ذى بال لم يكن قد حان موعده إذ ذاك ، وهو منه غير بعيد :

وكان وفياً لعمله ، يعرف حقه كما يعرف حق الصديق ، على سواء : وأشهد ما رأيته غاب يوما أو تأخر عن ميعاد محاضرة فى دار

العلوم ، أو عن جلسة فى المجمع ، إلا أن يعرض له عائق قاهر ، لا قدرة له عليه .

وكان أسلس ما يكون قيادا ، وألين مايكون جانبا لمن يحاسنه ، ويبادله وداً بود ، وإذا آنس من صاحب جفوة ، أو رأى منه إعراضاً لم يتردد أن يجزيه بفعله ، ويكيل له بكيله ، مهما كان مكانه بين أصحاب الشأن والمنزلة ، وكان لايسكت عن مطلب تعلق به إرادته ، ولكن بعد أن يُعِدّ له كفاءه من الوسائل والأسباب : ولم يكن يقرله قرار على اهتضام حق ثبت له ، وآمن به ، كان لا يكف عن الجهاد فيه ، والدأب عليه حتى يظفر به ، وكان من أعف الناس لسانا ، وأبعدهم عن قول الزور . ماسمعته يوما يغتاب أحدا ، أو يقول منذية . وكان أكثر ما يذكر به من يؤثره من أصحابه أنه يصون لسانه عن الغيبة ، والوقوع فى أعراض الناس .

سيادة الرئيس ، أيها السادة والسيدات :

لقد ترك لنا الفقيد فيما ترك من آثاره العلمية ثلاثة كتب أذكرها ، وأثنى عليه بها وهى : « كتاب النحو الوافى » ، وكتاب اللغة والنحو بين القديم والحديث وكتاب المتنبى وشوقى . ولكتاب النحو الوافى قصة ، أستجيز أن أقص موجزاً لها لوثاقة صلتها به : كنت قد تمنيت فى مقدمة كتاب لى عن سيبويه أن ينهض بعض نحاتنا ، لينظروا فى النحو ، ويؤلفوا كتابا فيه يكون هو كتاب العصر . وصح منى العزم على العمل لهذه الأمنية ، فدعوت بعض الأصدقاء إلى جلسة درسنا فيها الأمر ، ووضعنا منهجه ، وتوزعنا أبواباً من النحو بيننا ، ندرسها ونحررها ، ثم نلتقى لنرى الرأى فيها ، ولكن لم يقدر لهذه المحاولة أن تتم ، ولا أن نمعن فيها بعيدا .

وكأن الله تعالى كان راضيا عن هذه الأمنية ، فأمسكها أن تذهب ضياعا ، ووكل بها فقيدنا العالم الجليل ليحققها وحده ، شمله — سبحانه — بعون منه وتوفيق ، فكان « كتاب النحو الوافى » وهو كتاب فى أربعة أجزاء كبار ، جمع فيه الفقيد بين النحو والصرف ، وجعل الدراسة فيه نوعين :

أحدهما موجز أعده لطلاب التخصص فى العربية ، وجعل مكانه فى أعالى صفحات الكتاب . والنوع الآخر مسهب ، أعده لمن يريد المزيد ، واختص به بقايا الصفحات . ويكثر أن يتطلب المقام تعليقات على هذا النوع ، فتذهب مواطنها بذيول من الصفحات .

ويدور البحث فى الكتاب على ألفية الإمام محمد بن مالك ، ويعتمد فى الشرح على أمثلة محدثة . وقلما يستشهد بشواهد النحو من الشعر ، لأنها — فيما يقول — مليئة بالألفاظ اللغوية الصعبة ، وبالمعانى البعيدة . وشواهد النحو هى مصدر أحكامه وحجج النحاة فيما يقررون منها . وإذا صح أن يحول ما فى بعضها من صعوبة المفردات وبعد المعانى دون ذكرها فى نحو الطلاب ، فما

بأنها لم تتبوء أماكنها فى نحو العلماء وليس عدلا أن يؤخذ الكثير الخالص المبرأ بعيب القليل المشوب .

ومهما تتعدد الآراء فى الكتاب ، ومهما تختلف الأحكام عليه ، فالذى لا ينبغى أن يكون فيه خلاف ولا مراء ، أنه قصارى ما يمكن أن ينهض بمثله عالم واحد فى علم كائنا ما كان ، فكيف بالنحو ، وهو من يعرف الناس ، دقة مسالك ، وصعوبة مرتقى وجهامة بحث ، وغموض أسلوب ، وكثرة فروع ، واستفاضة خلاف . ومتى اجتمع الناس على رأى فى عمل فرد بل فى عمل جماعة .

فما يذكرونه إلا بالحمد ، ولا يصفونه إلا بالكمال ؟

أما كتابه اللغة والنحو بين القديم والحديث فمجلد واحد ، يدور القول فيه على نوعين من الدرس والبحث . أما الأول فعن بعض أصول النحو وقضاياه ، كالقياس والعلة ، والعامل . وهى موضوعات سبق إليها القدماء ، فقالوا فيها وعرضوها ، كل على طريقته . ولا يزال القول يتردد فيها إلى الآن فى بعض الرسائل الجامعية :

وأما النوع الثانى فيدور القول فيه على قضايا لغوية وأدبية شغلت الناس وقتاً ما ولا تزال ثمة بقية من الاشتغال بها الآن ، منها الدعوة إلى العامية ، والدعوة إلى الحروف اللاتينية ، والدعوة إلى الشعر الحر والفقيد فى موقفه من هذه القضايا عربى غيور ، يحامى عن العربية ، فى خصائصها المأثورة ، وسمتها العريق قولا وزنا ، ونثراً وشعراً ، لا يتهاون أو يترخص ، ولا يجامل أو يترفق .

وأما الكتاب الثالث فموضوعه المتنبى وشوقى . وإذ يجمع الفقيد بين هذين الشاعرين فى كتابه ذاك ، فإنما يجمع بين ندين عظيمين ، تجمع بينهما مشابه شتى فكل يعد بحق من معالم الشعر العربى فى تاريخه الطويل ، وكلاهما قد أخمل شعراء عصره ، حتى ما يكاد يسمع إلا صوته ، ولا ينشد إلا شعره ، وكلاهما جدير بما قال ابن رشيق عن المتنبى : « ثم جاء المتنبى فملأ الدنيا وشغل الناس ، وكلاهما قد بعث نهضة من الدراسة والنقد ، بما ألف عنه من كتب ، ودارت حوله من دراسات وبحوث . وكلاهما جنت عليه عبقريته فشنت عليه حرب لا هوادة فيها من الزراية والانتفاض أوقد نارها زمر من المقصرين والمتعجلين ، ومن الحاقدين الشانئين :

تلك مشابه تجمع بين الشاعرين ، وما هما ببدع فيها ، فما من شاعر ولا خلق من خلق الله إلا له مشابه فى آحاد من نوعه ، قليلة أو كثيرة . ويبقى بعد هذا أن بين الشاعرين فوارق كبيرة ، تباعد بينهما أى مباعد : فأين المتنبى من شوقى فى نشأته وبيئته ، وفى العصر الذى أظله ، والمجتمع الذى يعايشه ، وتضطرب به الحياة فيه ؟ إنها فوارق لها فى شعر كل منهما ، وفى شخصيته الفنية والذاتية عمل غير مردود .

ومن العسير أن يبرأ الحديث عنهما من الهوى ، وأن تسلم المزية هنا أو هناك من

الغمط حين المفاضلة والترجيح ، ما لم يقم لهذه الملابسات وزنها ، وما لم تنل حقها كاملا من الملاحظة والتقدير : وليس يسعنى الآن إلا أن أسأل : ما للمتنبي يحمل من العيوب ما حمل ، ويستحق بها أن ينزل عن مرتبة شوقى ؟ وما لشوقى يبرأ من العيوب أو يكاد ، حتى يعد شعره عالما متكاملا ، يمكن أن يعيش الناس معه ، ويغنوا به عن كل شعر سواه ؟ ويتضمن الكتاب ترجمة موجزة لكل من الشاعرين ، ودراسة لنماذج من شعره فى فنونه المختلفة ، وفى ألفاظه ومعانيه ، ثم دراسة لأخلاقه ومنازع نفسه كما تتمثل فى شعره : وسيظل أعلام التاريخ موضوع دراسة ، ومدار موازنة ونقد ، ومثار اتفاق واختلاف ، وربما بلغت الآراء فى الخلاف فيهم مبلغ النقيض من النقيض ، وسبحان من فرق بين خلقه فى الخصائص والسمات ، وباعد بينهم فى مذاهب التفكير وارتياء الآراء :

هذا هو الأستاذ عباس حسن ، كما عرفته فى صحبته ، وكما رأيته فى كتبه ، وإنه — بما قضى فى التعليم من عمره ، وما أنفق عليه من ذات نفسه ، وبما ترك فينا من كتب ، وما قدم للمجمع من مشاركة وعطاء — إنه لحقيق بهذا كله أن يعد من أعلام الثقافة المعاصرين ، أولئك الذين جاهدوا فيها بنصيب مشكور :

بسيادة الرئيس ، أيها السادة والسيدات :

اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل الناس فى هذه الحياة أجيالا متعاقبة ، كلما مضى جيل خلفه جيل آخر ، وأن يكون كل جيل لخلفه مستقبلا ، ولسلفه مودعاً . وإذا كان لنا أن نرسل النفس على سجيتها فرحا بالقادمين فليس من الحكمة أن نتركها نهبا للحزن وفاء للسالفين :

فالإسراف فى الحزن متلفة للنفس ، ومفسدة للعيش ، ومغضبة لله رب العالمين :

صحيح أن فراق الأعزة أليم ، وأن وقعه على النفس شديد ، ولكن الله تعالى لم يتركنا سدى ، تصنع بنا لواعج الحزن ما تشاء ، فزودنا سبحانه بالصبر وأمرنا أن نستعين به ، فلنرض أنفسنا عليه ، وهدانا للإيمان فلنعتصم به : ومع الصبر والإيمان يقوى العزم ، ويتبين الرشد من الغى ، فلننازع الحزن قيادنا ، ولنقبل على الله ربنا نسأله ، إنه هو البر الرحيم أن يتقبل الفقيد بأحسن القبول ، وأن يثيبه بما عمل ثواب العاملين المخلصين ، وينزله منازل الأبرار الصالحين :

على النجدى ناصف
عضو المجمع

•• قصيدة فى رثاء الفقيد(*)

للدكتور ابراهيم ادهم الدمرداش

فى رثاء الأستاذ النحوى ((عباس حسن))

عضو المجمع اللغوى وشيخ نحاته وصاحب ((النحو الوافى)) رحمة الله عليه

رأيت الناس تسرف فى المقـــال ... ويندر أن تزيد من الفعـــال
وتخطى عادة وتصيب عفـــوا ... وتدخل فى ضـــلال من ضلال
ولولا ثلـــة الأخيـــار فينـــا ... لكان مصيرنا سوء المـــآل
لسان العرب منشؤه فصيـــح ... وحرفه الدخيل على التـــوالى
فأصبح نطقه فى كل قطـــر ... غريباً فى البيـــان والارتجال
فليت العـــرب تجمع ذات يوم ... على نحو الأوائل فى المقال
نعلّم نسلنا نطقا فصيحـــا ... ونسمعه الصواب مع المثال
لينشأ بيننا جيـــل جديد ... توحد باللسان وبالجـــدال
يعز على أن أرثى زميـــلا ... تفانى فى الدفـــاع عن الكمال
فقيد النحو كان بلا مـــراء ... فقيد العرب فى نحو الخوالى
تمسك بالقـــديم بألف بيت ... وقاد الفكر فى هـــذا المجال
سألت النحو هـــل «عباس» وفى ... قواعده ؟ فقال : بلا جـــدال
قضى أيامـــه درساً وبحثـــاً ... يصوب كل أخطاء المقـــال
تصدى للكثير من القضايا ... وأفتى بالجـــواب على السؤال
يقول لمخطىء أخطـــأت جهراً ... وينطق بالصواب ولا يبالى
كأن النحو تنزيل ليهـــدى ... من النطق الحرام إلى الحلال
تركت حياتنا والـــكل فان ... ويبقى وجه ربك ذو الجلال
فلا ترهب حسابا يوم بعث ... فنحوك عن يمين لا شمال
وما قيم الرجال تقاس إلا ... بأعمـــال الرجال أو الخصال
فويل للمسىء بسوء قصـــد ... وطوبى للخيار من الرجـــال

•• كلمة الأسرة للاستاذ أنور أحمد

السيد الدكتور رئيس المجمع :

السادة الأجلاء أعضاء المجمع :

سيداتى وسادتى :

كل يوم نمنى بفقيد حميم ، وناتى التبريح فى فقدانه ؛ إنما الموت والحياة رفيقا سفر فى القرون يعتسفانه ، ما انهلال الحياة فى الحى إلا عنصر الموت قرفى شريانه راصداً لا يدب قبل أوانه . . لا ولا بعد لحظة من أوانه .

أيها السادة

عزيز على أن أقف بينكم شاكراً باسم الأسرة فى حفل يقام لتأبين الرجل الذى كان لى أخاً وصديقاً وأستاذاً صاحبته على الدرب الطويل منذ صباى ، وفى الغائلات البله من سنواتى ، فغمرنى بحبه وعطفه وإرشاده ، وتوسم فى شغفا مبكراً للأدب والكتابة ، فأخذ بيدى ، وقوم لسانى وقلمى ، ومازلت أحتفظ بين أوراقى بالرسائل التى كنا نتبادلها عندما كان يذهب فى مطلع حياته العملية ، وهو مدرس للغة العربية ليقضى بعض شهور الصيف فى رأس البر ، فكان يسجل فى رسائله الأخطاء اللغوية والنحوية فى رسائلى ، ويعزينى بقوله إنها أخطاء شائعة يقع فيها حتى كبار الكتاب . . ! ووعيت الدرس على يديه ، فأدركت أن اللغة العربية على جمالها بحر شائع عميق ، الدرّ كامن فى أحشائه ، لا يملك ناصيتها إلا الغواص الماهر ، أو لعلها جزيرة « نائية » فى أقصى الأفق ، يجب أن يخوض المريد إليها بحراً من الجهد والعرق .

ولقد خاض عباس حسن هذا البحر ، وغاص فى أعماقه وأوغل ، حتى بلغ قراره وعرف أسراره ، وأصبح بعد ذلك موسوعة حية لعلوم اللغة ، تجلو للناس غوامضها ، وتذلل لهم صعبها ، وتيسر لهم تراث السابقين ، وتلقى الضوء على طريق الدارسين والباحثين ، وكأنه المعنى بقول شاعر المجمع الكبير الراحل عزيز أباظه :

الكسائى ضم برداك والفراء وابن العلاء والأصمعيا
هم أساتيذك العظام وقد كنت بأن تعتزى إليهم حريـــا
من يعزى فيك ابنَ منظور المصرىّ والجوهرى والأزهريـــا
أولياء الفصحى أضافوا إلىّ المنشور منها تراثها المطويا
لم يملوا فى بحرها الطم غوصـــا بكرة عن كنوزها وعشيـــا

أودعوا درها معاجم قد صاحبتها العمر واصطفتك نجيـــا

فإذا أنت حجة الضاد تأوى منك حصنا ضخما وركنا قويـــــا

أيها السادة :

إن الناس يعرفون « عباس حسن » عالم النحو الكبير ، ولكنهم لا يعلمون أنه كان فى صدر شبابه أديباً وشاعراً ، ولقد شهدته فى صباى ينظم القصيدة الطويلة فى ساعات قليلة ، ولكنه لم يلبث أن حول وجهه عن الشعر والأدب ، وتحول بكل طاقته إلى العلم ، كان العلم أحسن شىء لديه، فوهبه عقله وقلبه ونور عينيه ، وهكذا أختار الطريق الصعب الذى يلائم طبعه الصارم الجاد ، وأدار ظهره للشهرة السريعة ساخراً من القيم التى يتهافت عليها الناس ، ليصبح راهباً فى محراب العلم . وقادة علمه الراسخ إلى مجمعكم الشامخ ، وأشهد أنه لم يسعد فى حياته بمنصب تولاه سعادته بمقعده فى هذا المجمع العتيد . كان يشعر أنه فى بيته وبيئته وبين عشيرته ، فى الجو الذى يحبه ، كالطائر فى الهواء ، والسمكة فى الماء ، والفارس المجلى فى حلبة النزال والجهاد . هنا يستطيع أن يسهم فى خدمة لغة الضاد بعد أن أصبح سادنا فى محرابها ، ومن ثم أخذ عمله فى المجمع ولجانه مأخذ الجد الصارم ، وكرس له وقته وجهده شاعراً بأن له رسالة يؤديها حتى وافاه الأجل المحتوم ، وأنتم أيها السادة أعلم منى بجهده فى المجمع ، كما تحدث عنه مشكوراً السيد رئيسه الجليل ، والسيد الأستاذ على النجدى ناصف فى خطابيهما الكريمين .

أيها السادة :

إننى لا أقف بينكم اليوم لأرثى عباس حسن أو أشارك فى تأبينه ، ولكنى أقف باسم أسرته لأسكب فى ذكراه دمعة وفاء ، ولكى أحمد الله إليكم ، وأشكر لكم هذا الوفاء فى زمن يعز فيه الوفاء .

والله تعالى أسأل أن يجنبكم كل سوء وأن يعصمكم من كل مكروه ، وأن يحفظكم ويوفقكم فى إتمام الرسالة التى وقف فقيدنا حياته عليها ، إنه تبارك وتعالى أكرم مسئول ، وهو سبحانه المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

•• كلمة الختام للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

سيداتى وسادتى

باسم المجمع أشكر لكم جميعاً مشاركتكم لنا تأبين فقيدنا وفقيد العلم ، وأسأل الله أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ، وأن يوسع له فى جنته ، وشكراً لكم ، ورفعت الجلسة ،

عبد الكريم جرمانوس
(كما عرفته)
للأستاذ محمد شوقي أمين

كثيرون من الأدباء والمفكرين فى الشرق العربى والإسلامى لايستطيعون أن ينسوا ذلك العالم الأديب المستشرق المجرى الدكتور جوليوس جرمانوس ، أو الحاج عبد الكريم جرمانوس ، فالذين قرءوا له كاتبا بالعربية فى الصحف والمجلات الثقافية ، أو الذين استمعوا إليه محاضراً فى الأندية والجامعات والمجامع ، خلال نصف قرن ، يلمسون فيه باحثاً دءوباً من أهل الجد ، يتسم بالنزاهة والإخلاص ، والذين اتصلوا به وعرفوه معرفة مجالسة أو معرفة مراسلة آنسوا فيه من صفاء الود وصدق الولاء نمطاً رفيعاً يتحلى به إنسان طيب النفس مرح الروح حميد الخصال :

ولو أردنا أن نلخص شخصية الدكتور « جرمانوس » فى جملة واحدة ، تلقى عليه ضوءاً كاشفاً ، لاستعرنا تلك الجملة التى جعلها رائد القصة العربية « محمود تيمور » عنواناً للفصل الممتع الذى دبجه فى وصف صديقه ذلك ، وهى قوله : « جرمانوس عاشق الشرق والعروبة والإسلام » :

٢ — عرفت « الدكتور جرمانوس » فى القاهرة سنة ١٩٣٥م وهو يومئذ فى نحو الخمسين ، وأنا فى نصف عمره ، وعلمت أنه يومذاك أستاذ للتاريخ فى جامعة « بودابست » ، وأنه تنقل فى البلاد العربية والإسلامية ، وأعلن إسلامه فى مسجد « نيودلهى » فى الهند ، وكان قد سافر إليها معلماً ومحاضراً ، وفى أول يوم عرفته اتفقنا على أن نلتقى مدة إقامته كل مساء أربع ساعات ، ولم يكن الرجل بحاجة إلى من يعلمه العربية ، فقد وعى من ألفاظها وألم من أوضاعها بما يكفى مثله . ولكنه كان تواقاً أن يتعمق فى فهم الجملة العربية وأنماط تعبيراتها وألوان مجازاتها ، إذ كان يتعاصى عليه بعض ذلك فيما يطالع من نصوص التراث العربى ، وكذلك كان تواقاً أن يكتسب سلامة النطق بالعربية حروفاً وكلمات ؛ وتوالت زوراته بعد ذلك للقاهرة ، وتوالت صلتى به ، وصحبتى له ، حتى زورته

الأخيرة منذ سنوات ، وهو يستقبل العقد العاشر من عمره المديد.

ومما عجبت له من شأن « جرمانوس » فى صحبتى إياه للتدارس أننا كنا نجلس إلى المكتب متقابلين ، وتحت بصرى الكتاب أقرأ منه النص الذى يدرس ، وإذا هو قبالتى يعيد قراءة النص فى غير تلعثم ولا توقف ، وعينه على الكتاب معكوساً ؛ ولما فطن إلى دهشتى ؛ قال لى إنه مرن نفسه على القراءة العكسية تمرين ضرورة لاعن هوى ، وذلك أنه كان فى بلده يدرس العربية لتلاميذه فى بعض الكتب ، وليس منها إلا نسخة واحدة ، فكان التدبير أن يوضع الكتاب تحت أبصار التلاميذ معكوساً أمامه ، وهم يتابعونه فيما يقرأ ، أو يتابعهم فيما يقرءون .

٣ — اتجهت دراسة « جرمانوس » العلمية للتاريخ التركى وما كان ذلك الاختيار عبثاً ، فإن الدولة العثمانية بسطت سلطانها على ضفاف « الدانوب» زمناً ليس بالقصير وكان للترك أثر فى حياة أهل المجر الاجتماعية ؛ إذ نقلوا إليها أوضاعاً من مظاهر الحضارة الإسلامية ، بل إن بعض الرُّحل من المجر اتصلوا بالدولة الإسلامية منذ أقدم العصور ، وفى معجم «ياقوت» حديث قوم من « باشجرد » وصلوا إلى البلاد العربية فى غضون دولة بنى العباس . وما يزال ضريح «جول بابا» التركى فى قلب «بودابست » مهوى أفئدة المواطنين والسياح ،

ولعل ذلك كان الغراس أو المحراك الذى وجه «جرمانوس» إلى دراسة الحياة الشرقية والإسلامية بوجه عام ، فلقد كان عامر الوجدان بالروح الشرقى ، إذا تطلع إلى آثار الشرق فى العمارة والزى وغيرهما ، وإذا قرأ وصف الحياة فى العهود الشرقية الخالية ، تهيم نظراته ، ويسرح خياله ، كأنه يحلم أحلاماً بهيجة ، ثم يهمهم قائلا : هذا جو ألف ليلة وليلة .

حقا كان « جرمانوس » مفتونا ببعض الأنظمة الشرقية ، ويرى فى تاريخها رقياً مبكراً للمجتمع الإنسانى ، وأذكر أنه كان يحدثنى فى بعض أوضاع الحياة ، فاستطرد يحدثنى فى شأن « النظافة » وتطور الاهتمام بها على الصعيد العالمى ، فجعل يشيد بالنظافة العربية ويقول إنها عريقة بفضل التشريع الإسلامى وأحكامه ، ويرى أن « النظافة حديثة السن فى أوربا » ، ويضرب للتدليل على ذلك أمثلة من تاريخ ملوك فرنسا وغيرهم من الشخصيات اللامعة فى غيرها ، فيما يتعلق بحياتهم المنزلية ، ومما قاله إن الحمامات عرفتها بلاد المجر قبل غيرها من البلاد الأوربية ، بفضل الصلة بينها وبين المجتمع التركى الإسلامى .

وإنى لمذيع هنا سرا لم يكن خافيا على «جرمانوس » ، ذلك أنه كان الشخصية التى استلهم منها « محمود تيمور » قصته «المستعين بالله الكابتن هاردى » ولا أدعى

أن أحداث القصة من الواقع ، فإن «جرمانوس» كان فى شغل عن المغامرات الغرامية ، ولكن روح القصة وتحليل الشخصية يصور طابع « جرمانوس » ويلمع إلى شخصيته فى هيامها العاطفى بالجو الشرقى ومافيه من سحر الخيال ، ومن سطور هذه القصة تصوير رفيق « المستعين بالله » لجولة فى جوف الليل معه فى حى « الحسين » إذ يقول « جعلنا ندخل تلك المتاهات والدروب الملتوية والحارات المستغلقة السابحة فى غياهب الظلمات ، وكلانا محلق فى أخيلته مشغوف بعالمه ، وخرجنا من تلك المتاهة إلى شبه ساحة لم يتوضح من معالمها إلا مآذن تشرئب بقاماتها الممشوقة إلى العلاء ترعى السماء ، وقد تناثرت فيها النجوم المتألقة ، وكأن هذه المآذن تحاول أن تتخلص من عالم الظلام والصمت ، ووقف صديقى يحدق فى تلك المآذن السامقة ، وقد شغفت قلبه ، وإذا بصوت حلو النغم يشق ذلك السكون ، ونحن إليه بقلبينا نهفو ، مستمتعين بعذوبة ذلك الإنشاد ، ومضينا فى طريقنا ، وخيل إلينا أن المآذن كأن هاماتها تتقاصر ويد صديقى تلتمس يدى وتضغطها بين حين وحين » .

كان « جرمانوس » فخورا بصوره ، وقد أطلق لحيته ، وارتدى ملابس الإحرام وأذكر أنى وفدت عليه يوما فى المثوى الذى ينزل به ، فإذا هو قد ألبس إحدى سيدات المثوى من الأجانب زيا عربيا تزينه العباءة والخمار ، ووقف يلتقط لها صورة ، وملامحه تفيض بشرا ، ومالبث أن قدمها لى على أنها أميرة عربية وافدة ، ولكن زوجها الألمانى بادر بكشف الحيلة لى وهو يقول : إنها لاتعرف العربية لغة ، ولكنها قرأت معى معلقات الشعراء العرب ومقامات الحريرى بالألمانية .

ولما توفيت زوجة « جرمانوس » ، وتزوج بعدها أخرى ، كان معتزاً بأن سماها « عائشة » ، وكان يتشدق باسمها ، وهو يُعرِّف ضيوفه بها ، ويقول إنها على مشربه فى كل ما يهوى .

و « جرمانوس » يعد خبيراً فنياً فى تذوق ألوان الطعام ، على اختلاف طرائقها فى الشرق والغرب ، لكثرة رحلاته وتنقلاته فى أرض الله ، وما أتيح له من فرص الضيافة على الموائد الرفيعة هنا وهناك . وهو على وفرة ما تذوق واستساغ لم يكن يؤثر طعاماً أى طعام على « الشواء » العربى المطهو فى السفافيد على الجمر ، وشد ما حرص على أن يكون له منه أوفر حظ فى أثناء مقامه بالقاهرة . ولو أتيح له أن يكون طعامه الأوحد لما لحقه منه ملال ، ولما لاحظت ذلك منه ، قال لى : من أحب قوماً أحب منهم أفخر ما يطعمون : سيد الطعام الشواء ؟

٤ ــ وفيمن عرفت من الناس من يحسنون عددا من اللغات ، منهم من يحسنها نطقاً وكتابة ، ومنهم من يكتبها ويتعثر فى النطق بها ، أو ينطق بها فإذا كتب استعان بغيره فأما «جرمانوس» فكان بدعا فيمن عرفت كان على علم بالإغريقية واللاتينية ، فهما من لغات دراسته الأساسية ، وكان يحسن العدد الجم من اللغات الحية وشبه الحية فى الشرق والغرب ، أكون معه فى مثواه فيتحدث إلى ربة المثوى باليونانية ، ويحضر صديق له فيكلمه بالفرنسية ، ونزور مستشرقا إنجليزيا فيتخاطبان بالإنجليزية ، وننتقل إلى رواق الأتراك أو تكية المغاورى فيجرى حديثه بالتركية مع شيخ الرواق أو دراويش البكتاشية : وفى متاجر التحف فى «خان الخليلى» يكلم صاحب متجر بالفارسية ، وفى حديقة الشاى الهندية يتكلم مع أحد عمالها بالأردية ، وفى البنك الإيطالى يصر على أن يتكلم بلغة البنك القومية : وفى سفارة المجر يتكلم بالألمانية مع هذا وبالمجرية مع ذاك . وأنا معه لا أفهم منه إلا أن يكلمنى بالعربية الفصحى : فإذا التقى برجل من عامة الناس فى المثوى أو فى السوق وكلمه الرجل بالعامية الدارجة ، تهشمت لغته ، وجف ريقه ، وضاقت أنفاسه ، لأنه لا يستطيع أن يفهم مايقال له بتلك العامية ، وكذلك لا يستطيع أن يقول بها ما يريد :

لم يكن «جرمانوس» يكره شيئا فى البلاد العربية كراهته للهجات العامية ، وقد أبى أن يكتسبها وأن يتأثر بها ، وكان يلقى فى سبيل ذلك عنتا ، فى مخاطباته لعامة الناس وكثيرا ما قال لى : شأنكم عجب : لكم لغتان ، لغة وأنتم وقوف تحاضرون وتخطبون ولغة وأنتم جلوس أو مشاة يتحدث بعضكم إلى بعض : وقد أراد أن يحضر دروس العربية فى كلية اللغة العربية بالأزهر ، وأذن له فى ذلك ، فحضر دروس أستاذ يسمى «غراب» ، وعز عليه أن يفيد مما سمع ، ففزع إلى شيخ الكلية ، يقول له : غريب من «غراب» أن يعلم العربية بالعامية وأدرك «جرمانوس» أن لغة الأستاذ عربية عامية مغا وأنه لن يستطيع متابعتها ، وهو لا يعرف إلا الفصحى :

٥ ــ لا غلو فى القول بأن «جرمانوس» كان سفير « الدانوب » الثقافى إلى « النيل » استقبلته الهيئة المصرية لنادى القلم الدولى ضيفا عليها سنة ١٩٣٥م فتعرف هنالك إلى لطائف السيد وطه حسين وغيرهما ، وحاضر فى كلية الآداب بجامعة القاهرة وجامعة الإسكندرية ، وألقى بعض بحوثه فى « مجمع اللغة العربية» بالقاهرة بعد اختياره عضوا مراسلا فيه :

وأذكر أنه قبيل الحرب العالمية الثانية جعل من احتفالات السفارة المجرية بأعيادها القومية فرصة لدعوة الصفوة من الأدباء والمفكرين العرب فى مصر ، فكان قصر السفارة يومئذ يغص بعمائم الشيوخ مع سواهم من المطربشين والمتقبعين ، بينهم

الشيخ مصطفى عبد الرازق ، والشيخ عبدالوهاب خلاف ،والشيخ عبد العزيز البشري ومحمود تيمور ، وكامل كيلانى ،والدكتور محمد حسين هيكل، والدكتور منصور فهمى والدكتور بشر فارس، وزكى طليمات، وزينب الحكيم، والدكتور محمود عزمى، وجمهرة من شباب الأدب والصحافة .

وبعد أن قدم «جرمانوس» كتابه المنشور بلغات متعددة «الله أكبر» تجرد لتقييم الأدب العربى فى العصر الحديث ، وتقديم نماذجه للمجتمع الثقافى الأوربى ، وكتب الفصول الضافية فى تقدير أقطاب الأدباء ، منها الفصل الذى كتبه فى تقدير « محمود تيمور» بعنوان «أستاذ الأدب القومى » ، والفصل الذى كتبه فى تقدير «كامل كيلانى» بعنوان «معلم الشعب العربى »،

وإن الزيارات التى قام بها « جرمانوس » لمصر كانت زاخرة بلقائه لأعلام الأدب وقادة الرأى ، يتدارس معهم مفاهيمه فى مجالات الفكر العربى ومذاهبه الأدبية ، معنيا بوجه خاص بحركة التجديد ومدى تأثرها بالمفاهيم العالمية فى الفكر المعاصر .

وكان «لجرمانوس» أثر فى ظفر المكتبة العربية بذلك الكتاب الذى وضعه الدكتور «محمد حسين هيكل» وسماه « فى منزل الوحى » واصفا فيه مشاهد بيت الله الحرام فإن «الوحى» فى «منزل الوحى» كان لفقيدنا «الحاج عبد الكريم جرمانوس» ، وما أقول بهذا رواية عن الرجل ، وادعاء منه ولكن ذلك ماجهر به وسجله « الدكتور هيكل » فى مقدمة كتابه ، إذ أشار — على ما أذكر — إلى أنه كان يستمع إلى إذاعة أجنبية، فاسترعى إنتباهه حديث «لجرمانوس» فى وصف الكعبة والحج ، وما لبث هذا الحديث أن أثار شوقه وبعث عزمه على أن يصنع صنيع «جرمانوس» ومن ثم أعمل قلمه فى تأليف ذلك الكتاب .

وكما كان «جرمانوس» معنيا بأن يقدم الأدب العربى بلغة قومه ، كان معنيا أيضا بأن يقدم باللغة العربية روائع من الأدب المجرى : ولقد كنت بجانبه ، وهو يترجم قصائد متوهجة من ديوان شاعر الثورة المجرية الشاب «بتوفى» وكانت مجلة «المقتطف» حفية بنشر هذه القصائد المترجمة ، وذلك سنة ١٩٣٨م. وفيما بعد سنين طوال لاحظت أن إحدى المجلات التى خرجت عقب الثورة المصرية سنة ١٩٥٢م — ثورة ٢٣ يوليه كانت تنشر تلك القصائد المجرية للشاعر

«بثوفى» ، وذلك لما فى مطاويها من دعوة متلهبة إلى الحرية، وإشادة عالية بالكرامة، وانقضاض على الاســتبداد والاستعباد والاستغلال :

٦ ــ عرفت فقيدنا الصديق الكبير «جرمانوس» زمنا يزيد على أربعين سنة رجلا كبيراً قلبه ، عاطفياً مترعه ، أقرب ما يكون إلى الفطرة ، وأبعد ما يكون عن التكلف .

رجل جد فى الدرس ، ودأب على البحث. رجلا لازمته الحيوية حتى بلغ مائة عام بالتقويم الهجرى الذى هو تقويم دينه الإسلام :

هكذا عرفته :

قُوته الحيوى : التعرف

وهدفه الإنسانى : التعارف

لذكراه تحية وسلام ،،،

محمد شوقى امين
عضو المجمع